الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ الوسيط

بحث بعنوان:

الحياة الاجتماعية لمتصوفة في بجاية خلال القرن7هـ/13م

مذكّرة مكمّلة تدخل ضمن متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ بلاد المغرب الوسيط

إعداد الطلبة:

امنة تومي

صابرين سلمي

إشراف أ: عقبة السعيد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
البشير غانية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
عقبة السعيد	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
واعظ نويوة	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445–1446هـ/2024 –2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير.

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية

من وقفة تعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام

الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة وقبل

أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقديروالمحبة

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم

والمعرفة إلى جميع أساتذتناا لأفاضل وأخص بالتقدير والشكر

الأستاذ الدكتور عقبة السعيد على ما بذله من نصح وارشاد

وحرص على ان يخرج هذا الموضوع الى النور دون نقص او زيادة

اقول والكلمه تعجز عن التعبير .شكرا لكم جميعا فأنتم أهل

للشكر والتقدير .

الإهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير

فقد كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي

- والدي الحبيب -أطال الله في عمره

إلى من وضعتني على طريق الحياة وجعلتني رابطة الجأش

ورعتني حتى صرت كبيرة

أمي الغالية

إلى إخوتي من كان لهم بالغ الأثر في إزاحة الكثير من العقبات والصعاب

إلى جميع أساتذة الكرام ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي

أهدي إليكم بحثي هذا.

آمـــــــــــــــــــنة

الإهداء

الحمد لله على الحبيب المصطفى وأهله ومن ولاه أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه والتي تعتبر ثمرة الجهد والنجاح.

بفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي. لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال تساندني

إلى كل من كان لهم أثر على حياتي والى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي.

صـــــــــــابرين

قائمة المختصرات:

ص : صفحة

ج : جزء

ط : طبعة

هـ : هجري

م : ميلادي

تح : تحقيق

تر : ترجمة

تق : تقديم

ت : توفي

مقـــدمة

لقد أدى البذخ والترف والتفسخ الأخلاقي الذي انتاب المجتمع المغربي في القرنين 6-7هـ/12-13م الى بروز ظاهرة ذات تأثير كبير عن المغرب الأوسط بصفة عامة وعلى بجاية بصفة خاصة ألا وهي التصوف. اذ كان لها أثر عميق على مجرى الحياة اليومية لسكان بجاية فقد كان للمتصوفة هناك دورا بارزا في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، وخاصة الجانب الاجتماعي الذي ساهموا مساهمات إيجابية في مختلف مظاهر الحياة. وعليه كان موضوع مذكرتنا الموسومة " الحياة الاجتماعية لمتصوفة بجاية خلال القرن 7هـ/13م.

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع:

- الرغبة في دراسة التصوف والتعمق فيه.

- حب الاطلاع والدراسة في التاريخ الإسلامي.

- محاولة معرفة كيف ازدهر التصوف في بجاية خلال القرن 7هـ/13م.

- تركيز جل الدراسات على المجال السياسي والعلمي أكثر في حين نلاحظ اهمالهم للمجال الاجتماعي بالأخص الحياة الاجتماعية للصوفية خلال القرن 7هـ/13م.

- لهذا الموضوع أهمية كبرى لأنه يبين اسهامات المتصوفة في بجاية في المجال الاجتماعي خلال القرن 7هـ/13م وعلاقاتهم مع جميع المجتمع.

- اما فيما يخص الإطار الزماني للدراسة فهو خلال القرن 7هـ/13م والإطار المكاني هو ولاية بجاية.

- فيما يخص سبب اختياري لهذه الفترة لكونها تعتبر من أزهى فترات ازدهار التصوف من حيث المان والزمان.

– اما إشكالية الموضوع فهي:

فيما تتمثل اسهامات متصوفة بجاية في الحياة الاجتماعية خلال القرن 7هـ/13م؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية نذكر منها:

– ماهي اسهامات المتصوفة في المجتمع البجائي خلال القرن 7هـ/13م؟

– كيف كانت علاقة متصوفة بجاية بجميع فئات المجتمع؟

– كيف كانت الحياة اليومية لمتصوفة بجاية خلال القرن 7هـ/13م؟

–كيف كان دور متصوفة بجاية في حل النزاعات والخلافات؟

–كيف كان دور المتصوفة في الجانب العلمي والديني؟

ولمعالجة الإشكالية السابقة اتبعنا الخطة الاتية:

مقدمة:

وتتضمن تعريف مختصر للموضوع ودواعي وأسباب اختيارينا له مع تحديد الإطار الزماني والمكان ثم الإشكالية وتتبعها التساؤلات الفرعية ثم عرض الخطة المتبعة لدراسة الموضوع كما تطرقنا إلى المنهج المتبع في الدراسة ثم الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها مع تقييم المصادر والمراجع

المدخل: وعنوانه التعريف الجغرافي والتاريخي لمدينة بجاية

الفصل التمهيدي: بعنوان التصوف وعوامل ظهوره في بجاية ودرسنا من خلال مفهوم التصوف وعوامل ظهوره

الفصل الأول: عنوانه الحياة اليومية لمتصوفة بجاية خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي حيث قمنا بتسليط الضوء عن طريقة عيش متصوفة بجاية من حيث مأكلهم ومشربهم ومسكنهم وحرفهم ووظائفهم وأخلاقهم وحياتهم الأسرية وزهدهم في الدنيا

الفصل الثاني: وعنوانه علاقات متصوفة بجاية خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ودرسنا علاقات المتصوفة بمختلف فئات المجتمع بالسلطة والفقهاء والعامة.

اما الفصل الثالث: عنوانه الأحوال الاجتماعية لمتصوفة بجاية حيث قمنا من خلاله بإبراز دورهم في حل الخلافات والنزاعات وإصلاح المجتمع وكذلك دورهم العلمي والديني.

اما خاتمه الموضوع: فتضمنت الاستنتاجات والنتائج المتوصل إليها

اما المنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي القائم على المنهج لاسترادي والوصفي.

أما بالنسبة إلى الدراسات السابقة للبحث فهي:

-إسهامات صوفية المغرب في الحياة الاجتماعية والثقافية خلال العهد الموحدي 541-668 هـ/1156-1269م . من إعداد الطالب يعقوب نوبلي

-الحياة الاجتماعية لعلماء بجاية من خلال كتاب عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني (ت704هـ/1304م) اعداد صابرينة شتيوي، فاطمة خزان.

- التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين، اعداد زينب ملياني

كما اننا اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع من خلالها عالجنا موضوعنا ومن أبرزها:

-عنوان الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لابي العباس أحمد الغبريني) ت704هـ/1304م) ويعتبر المصدر الرئيسي الذي اعتمدنا عليه من خلال هذه الدراسة، فقد ترجم لنا عدد كبير من الاعلام الذين عرفتهم بجاية من شيوخ العلم ورجال الدين والتصوف خلال القرن 7هـ /13م

مما حلوا ببجاية أو مروا بها، فقد أعطانا صورة واضحة حول مظاهر الحياة الاجتماعية لهؤلاء العلماء، وبهذا يعتبر الغبريني شاهد عيان حول هذه الحقبة الذهبية لبجاية.

-كذلك كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري للطاهر بونابي حيث يعتبر مصدرا مهما بالنسبة لبحثنا في دراسة التصوف وأحوال المتصوفة في بجاية.

-وكذلك كتاب انسن الفقير وعز الحقير لابن القنفد القسنطيني وقد نشأ صاحبه في بيت الصوفية لذا آمن بكرامات المتصوفة وأقرها واهتم بتتبع اخبارهم واتضح ذلك من خلال اعجابه بالمتصوف أبي مدين شعيب الذي بدأ واضحا وجليا حتى انه خصص كتابه هذا فعمد الى تقصي كل ما تعلق به وباتجاهه الصوفي وطرق سير حياته اليومية. اما المراجع فقد اعتمدنا على احسان الهي الظهير المنشأ والمصدر في تعريف التصوف وكذلك اعلام التصوف في الجزائر لعبد المنعم القاسمي ، في أحوال المتصوفة .

المبحث الأول: أصل التسمية والموقع الجغرافي.

المبحث الثاني: بجاية في التاريخ

المبحث الثالث: مفهوم التصوف

المبحث الرابع: عوامل ظهور التصوف ببجاية

المبحث الأول: أصل التسمية والموقع الجغرافي :

بِجاية بكسر الباء وتخفيف الجيم، هذا هو التفكيك اللغوي للكلمة.

أمّا بجاية فهي مدينة وحاضرة من حواضر بلاد المغرب الأوسط الواقعة على الشريط الساحلي تحديداً في الشمال الشرقي للبلاد، وعلى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.

مجالها الفلكي محدد بخط طول 2درجة و45 دقيقة شرقًا، وعلى دائرة عرض 36 درجة و45 دقيقة شمالاً[1].

أمّا مناخها فهو مناخ البحر الأبيض المتوسط حارٌ صيفاً وممطر شتاءً، تنوعت في مدينة بجاية جميع أشكال التضاريس من سهول وجبال وهضاب فتوفرت بها جميع خصائص المدن الساحلية.

تميّزت بجاية بموقعها الحصين والأمين فهي واقعة بين إفريقية والمغرب على رأس حجر يُحيط به البحر من ثلاث جهات وبها الأبواب والأسوار العالية، يصفها صاحب الاستبصار فيقول):.... عليها سورٌ عظيم والبحر يضربُ فيه)[2]. كل هذه الخصائص الطبيعة جعلت من مدينة بجاية مركز استقطاب خاصة للبحّارة والتجّار الوافدين من بلاد الأندلس والبلاد المسيحية.

[1] - محمد بن عميرة و لطيفة بشاري بن عميرة ، **تاريخ بجاية في ظل مختلف الانظمة السياسية من عهد القرطاجيين الى عهد الاتراك العثمانيين** ، ط 01، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر ،1436ه-2015م ،ص 15.

[2] - مؤلف مجهول ، **الاستبصار في عجائب الامصار** ،ج 01، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص 130.

المبحث الثاني: بجاية في التاريخ :

1-بجاية في التاريخ القديم :

عُرفت مدينة بجاية قديماً بكونها ميناءاً بحرياً في ساحل بلاد المغرب وذلك في عهد الفينيقيين الذين اشتهروا بالملاحة والتجارة البحرية وحملت إسم صلْدة salda أو صَلْداي ،فشكّلت بذلك نقطة لتبادل السلع والبضائع بين شرق وغرب البحر المتوسط

ولكن مع دخول الاحتلال الروماني على المنطقة والذي عُرف بهمجيته وأسلوبه المتوحش تحول ميناء صلدة الفينيقي الى مُستعمرة رومانية سُميت على يد الإمبراطور جوليات ادغست بصلداي saldae والتي تعني الحجر الصلب .وظلت ذات أهمية استراتيجية إلى غاية القرن الخامس ميلادي مع دخول الوندال بلاد المغرب فتمكّن ملكهم جنسريق Geneseric (م477.429) من طرد الرومان و الحصول على ميناء صلداي وبونة. لكن وفي عهد آخر ملوكهم الملك جلمار Gelimer (534.530م) استطاعت الجيوش البيزنطية استعادة صلداي ودخولها من جديد[1].

2- بجاية في فترة الفتح الإسلامي:

ثم جاء الفتح الاسلامي لبلاد المغرب وتمكّن الفاتحون المسلمون من دخول بجاية ما بين سنتي89 و90 للهجرة (708.707م) ،ولكن دورها لم يبرز خلال القرون الثلاث الأولى للوجود الإسلامي في المنطقة وذلك راجع الى تركيز المسلمين جهودهم على المناطق الداخلية و جعلها مراكز حيوية لجيوشهم نظراً لقلة خبرتهم في مجال البحرية مقارنة مع البيزنطيين [2].

ثم بدأ بروز مدينة بجاية مع نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وهو ما شهده الجغرافي أبو عبيد الله البكري (ت1094.487م) حيث قال :(مرسى مدينة بجاية أوليّة آهلة عَامرة بأهل الأندلس وبشرقها نهرٌ كبير تدخله السفن المحمّلة وهو مرسى مأمون شتويّ قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس)[3]. ومن خلال هذا النص يتضح أن مدينة بجاية كانت عامرة بالسكان حيث وفدت عليها الجالية

---

[1] -محمد شريف سيدي موسى، **قراءة في الدور السياسي لبجاية في العصر الوسيط** ،مجلة الاداب والعلوم الاجتماعية، العدد17، جوان 2017م،ص ص 2,3.

[2] - صلاحي حسام ، **بجاية ومكانتها العسكرية في العهد الموحدي 546-629ه/ 1152-1230م**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، جانفي 2020م ، ص53.

[3] - البكري ابو عبيد الله ، **المسالك والممالك** ، تح وتق : ادريان فان ليوفن واندري فيري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1992م، ص757.

الأندلسية التي كان لهم الفضل في تحويل هذه المدينة من قرية صغيرة الى ميناء تجاري تُحمل إليه البضائع والسلع.

3- بجاية تحت الحكم الحمادي:

ومع بداية القرن السادس الهجري /الثاني عشر ميلادي أصبحت بجاية مدينة بارزة في المغرب الاوسط يقول عنها صاحب الاستبصار :(...مدينة عظيمة على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها وهي مُحدثة من بناء ملوك صنهاجة)[1].

ويعود السبب في اختطاط المدينة الى الناصر بن علناس الحمادي[2] يقول الحموي: (ثم بنيت المدينة وأول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن مناد بن بلكين في حدود سنة 457ه وسُميت باسمه النَّاصرية)[3].

وذلك أن المعز لدين الله الفاطمي حينما نقل دولته من بلاد المغرب إلى مصر عين بلكين بن زيري بن مناد اميراً على بلاد المغرب كلها ولقبه بسيف الدولة وكنَّاه بأبي الفتوح الأمر الذي أدى إلى تعاظم شأنه و زيادة نفوذه في المنطقة وكان بداية لظهور الدولة الصنهاجية بإفريقية والمغرب الاوسط ، وفي ظل هذه الظروف توجست الدولة الفاطمية بمصر من هذه الدولة الناشئة فأخذت تسعى الى كسر شوكتها وتصفيتها قبل تعاظم أمرها واستفحال خطرها فأوعزت الى عرب بني هلال وبني سليم بالزحف الى إفريقية والقضاء على قوة صنهاجة وأمرائها[4].

وبعد موقعة سبيبة[5] سنة 457ه ،1067م استولى العرب الهلاليين على معظم أجزاء إفريقية بما فيها المناطق المحيطة بالقلعة عاصمة الدولة الحمادية[6] ووضعوا أيديهم على طرقها ، وفي ظل هذه الظروف أحس الناصر بن علناس بالخطر الذي يهدد عاصمته فقرر إنشاء عاصمة جديدة بعيدة عن عرب بني هلال وحصينة ضد هجماتهم ،فشرع سنة 460ه ،1067م في تأسيس مدينة بجاية في نفس موقع ميناء صلداي القديم الواقعة على سفح جبل وأمامها خليج مأمون يسع أسطولا ضخماً

---

[1] - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص128.

[2] - الناصر بن علناس ابن حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي البربري (ت 481ه/1088م) مؤسس مدينة بجاية الناصرية حكم 27سنة ، انظر : شمس الدين الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج 18، ص 597.

[3] - شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626ه)، **معجم البلدان**، ج01، ط 02، دار صادر، بيروت، 1995م، ص339.

[4] - يحي بو عزيز ، **الموجز في تاريخ الجزائر الجزء الاول الجزائر القديمة والوسيطة** ، الطبعة 02، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، 1995م، ص ص 145,146.

[5] - موقعة دارت رحاها سنة 457ه/1064م بين الناصر بن علناس الحمادي ، صاحب القلعة ومن معه من رجال المغاربة ممن صنهاجة وزناتة ومن العرب عدي والاثبج من جهة وبين تميم بن المعز الزيري صاحب المهدية ومن معه من عرب رياح وزغبة وسليم والمعز بن زيري الزناتي من جهة اخرى ...وقد تكبد الناصر هزيمة نكراء في تلك المعركة . انظر: محمد بن عميرة واخرون ، **تاريخ بجاية في ظل مختلف الانظمة السياسية من عهد القرطاجيين الى عهد الاتراك العثمانيين** ، ص ص32,33.

[6] - انظر الملحق رقم 5.

يهيمن به على البحر .وبحلول سنة 461ه ، 1068م انتقل الناصر إلى عاصمته الجديدة ونقل الناس إليها وأسقط الخراج عن سكانها وسمّاها بالنّاصرية[1] ،ولكن سكان المنطقة غلبوا عليها اسم أبقايث البربري الذي كان اسما لإحدى القبائل الأمازيغية القاطنة هناك قبيلة بقاية و بقايث في لغة أهل المنطقة ثم أصبحت بجاية في المصادر العربية والنطق العربي.[2]

يقول الإدريسي: (ومدينة بجاية كانت مدينة المغرب الاوسط وعين بلاد بني حماد والسفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة ...) ويقول صاحب الاستبصار (...ولها داران لصناعة المراكب وانشاء السفن ومنها تغزا بلاد الروم...وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو انف من الجبل قد خرج في البحر منصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة...)

ولم تزل بجاية في اتساع وعمارة ورقي حضارة أيام الحماديين وكانت أيام عظمتها عاصمة علمية تُدرس بها العلوم العقلية والنقلية على اختلاف فنونها[3] .

[1] - مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت1364ه)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406ه/1986م، الصفحة 275.

[2] - مريم عبد السلام ، **التواصل الحصاري بمدينة بجاية من مغازة قلدأمان الى مدينة الناصرية** ، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد01، جوان 2021م، ص 96 .

[3] - مبارك الميلي، المرجع سابق ، ص ص 276,277.

4- بجاية تحت الحكم الموحدي:

وظلّت بجاية[1] حاضرة علمية محافظة على مكانتها الى غاية منتصف القرن 6 هـ وفي عهد السلطان يحيى بن عبد العزيز[2] آخر ملوك بني حماد باتت المدينة ضعيفة عكس عهدها الأول نتيجة انغماسه في الملذات وإهماله شؤون الدولة.

وفي سنة 511هـ ،1117م قدِم ابن تومرت[3] إلى مدينة بجاية بعد رحلته من المشرق وأظهر بها الوعظ وقام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك التقى بالشاب عبد المؤمن بن علي الكومي (ت 558ه-1162م) واستماله إليه وانضم إلى دعوته [4].

وفي سنه 546 هـ، 1152م كانت الحملة العسكرية على بجاية بقيادة عبد المؤمن بن علي فحاصرها وضيّق على أهلها وتحت هذا الضغط هرب السلطان يحيى بن عبد العزيز عن طريق البحر وأصبحت بجاية من يومها تحت سلطة الموحدين إلى غاية القرن 13م [5].

وفي هذه الفترة تعرضت المدينة لسيطرة بني غانية[6] مستغلين انشغال الجيوش الموحدية بحروبها ضد النصارى في العدوة الشمالية بالأندلس وذلك يوم 6 شعبان 580 هـ ،13 نوفمبر 1184م وأعلن بنو غانية ولاءهم للخليفة العباسي في بغداد واستمر زحفهم إلى المدن والأقاليم المجاورة كجزائر بني مزغنة وآشير ومليانة.

وتحت هذا الخطر الزاحف قام الخليفة يعقوب المنصور (558,580ه / 1184,1199م) بتنظيم حمل عسكرية كبيرة برية وبحرية واستطاع استرداد كل ما ضاع منهم من المناطق وتحرير بجاية من أسرة بني غانية وعودتها الى حكم الموحدين يوم 19 صفر 581 هـ ، 21 ماي 1185م.[7]

---

[1] - انظر الملحق رقم 04

[2] - يحيى بن عبد العزيز (515ه-1121م) اخر ملوك بني حماد كان مولعا بالملذات مغرما بالنساء في عهده سيطر الموحون على مدينة بجاية دون مقاومة مات سنة 558ه-1163م. انظر : محمد سليمان الطيب ، **موسوعة القبائل العربية** ، ج 03، ط03، دار الفكر العربي ، 1421ه-1431ه ، ص ص 456، 457.

[3] - ينتسب محمد ابن تومرت إلى قبيلة هرغة إحدى بطون مصمودة الكبيرة بالمغرب الأقصى لقب نفسه بالمهدي والإمام المعصوم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم سنة 500ه-1106م، ثم عاد إلى المغرب و إلتقى عبد المؤمن بن علي الكومي ببجاية سنة 505ه-1111م، فقربه إليه وسمى أتباعه بالموحدين وشرع في القضاء على دولة المرابطين و في معركة البحيرة أصيب وتوفي متأثرا بجراحه سنة 524ه-1130م، انظر : يحيى بو عزيز ، المرجع السابق ، ص ص 187,188,192.

[4] - يحيى بوعزيز ، مرجع السابق ، ص 188.

[5] - صلاحي حسام ، المرجع السابق ، ص54.

[6] - بنو غانية أسرة مرابطية أرادت إحياء دولة المبراطين بالمغرب و إعادة الدعوة للعباسيين أشهر أمرائهم علي بن إسحاق المعروف بالميورقي نسبة إلى ميروقة حكم بجاية لمدة سنتين (580ه-581ه) ، انظر : مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص 317.

[7] - صلاحي حسام ، مرجع السابق ، ص 55.

5- دخول بجاية في ظل الحكم الحفصي:

ونتيجة الظروف التي مرت بها الدولة الموحدية آخر أيامها شجعت أطماع بنو حفص[1] في التوسع على حساب أملاكها و الاستقلال بتونس وما جاورها من أقاليم ، فزحف الأمير الحفصي أبو زكريا يحيى الأول سنة 628ه، 1230م ، على كل من قسنطينة وبجاية واستولى عليهما دون مقاومة[2] .

وبهذا أصبحت بجاية ثاني حاضرة للدولة الحفصية بعد تونس وعيّن عليها أبو زكريا ابنه يحيى الحفصي سنة 628ه ، 1230م فاشتهرت بجاية في عهده لما تميّز به من عدل و علم وكفاءة سياسية ، فازدهرت تجارتها وتعددت علاقاتها الخارجية ثم توالى حكم الحفصيين لهذه الحاضرة لأهميتها الاستراتيجية وكونها ثغرا مهما بالجهة الغربية للدولة يجب تحصينها وحمايتها [3].

[1] - ينتمون إلى قبيلة هنتاتة إحدى فروع مصمودة و مؤسس الامارة الحفصية هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي أحد رجال ابن تومرت ظهرت هذه الامارة في اخر أيام الموحدين فإستقلت بتونس (627-981ه/1229-1273م) ، انظر : يحيى بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 201.

[2] - يحيى بوعزيز ، مرجع السابق ، ص 201.

[3] - خليفة فضيلة وآخرون ، **بجاية في العهد الحفصي (7-9-13/15م)** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ وحضارات المغرب الاوسط والوسيط ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، 1437ه-2016م، ص ص 22,23.

المبحث الثالث: مفهوم التصوف

لقد تعددت الدلالات اللغوية و الاصطلاحية لكلمة – التصوف –حيث اختلفت الآراء والمشارب ، سواء من طرف الباحثين والمفكرين او من قبل المتصوفة أنفسهم ، وبالتالي سنحاول ان نعرض عليكم بعض الاشتقاق اللغوي والمعنى الاصطلاحي :

أ–لغة:

لقد ظهرت ثمانية معاني للتصوف وهي:

1–بالنسبة للصفاء: والصفاء هو خلو الباطن من الشهوات و الكدارات[1]، وكذلك للصفاء إسرارهم ونقاء أثارهم ،وقال بشر الحارث[2] : التصوف من صفاء قلبه لله [3].

2–بالنسبة الى الصفة: و قيل انه مشتق من الصفة وانه نسبة الى اهل الصفة وكانوا قوما فقراء المهاجرين و الأنصار بنيت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم [4].

وتصور أصحاب هذا التعريف ان هناك وجه في الانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة ، بين اهل الصفة والصوفية فيقول السهر وردي[5] : قد اجتمعوا بمسجد المدينة كما يجتمع الصوفية قديما ، وحديثا في الزوايا والرباط الى يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث الناس على مواشهم و يواكلهم ويجالسهم [6].

---

[1] عيدة غالب ، احمد عيسى ، مفهوم التصوف ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1413ه 1992م ، ص 11.

[2] بشر بن الحارث : هو ابن الرحمان بن العطاء الامام العالم المحدث الزاهد و ارتحل في العالم اخذ عن مالك وشريك ...و كان يزم نفسه فقد كان راسا في الورع و الاخلاص فيما ورد في المستندات ولد سنة 152 ه بمزيد ، انظر سير اعلام النبلاء ، ج 10، ص 480.

[3] أبوبكر بن إسحاق العلابادي، الثغر لأهل التصوف ، ط 1 ، ط2 ، مكتب الخانجي ، القاهرة، 1352ه 1933م ، 1415ه 1994م ص 5

[4] - د- أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، مدخل الى مفهوم التصوف ، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ، 1979م ص 21.

[5] - السهر وردي : ولد في منتصف القرن 6 ه ، وقد كان اوحد اهل زمانه في العلوم الحكيمة ، جامعا لفنون الفلسفة ، بارع في اصول الفقه مفرط الذكاء ، جيد الفطرة فصيح العبارة ، للمزيد انظر نوابغ الفكر العربي 13 السهر وردي ، ص 21

[6]- شهاب الدين ابي حفص عمر البكري السهر وردي ،عوارف المعارف ، دار التقوى دمشق الشام ،ط 1 ، 1443ه/2022م،ص ص 264-263

3-بالنسبة الى صوفة:

هو نسبة الى رجل اسمه الغوث ابن مر[1]، وهو رجل زاهد متعبد في الجاهلية كان قد انقطع الى الله وعبادته عند البيت الحرام ، وقال ابن الجوزي سئل وليد بن القاسم الى أي شيء ينسب الصوفي ؟ فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا الى الله وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهو من الصوفية [2] .

4-نسبة الى الصوف الأول: لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم ووقفهم بسرائرهم بين يديه[3]

5-نسبة إلى الكلمة اليونانية-صوفيا-: حيث يرى بعض المستشرقين أن كلمة صوفي مأخوذة من صوفيا اليونانية بمعنى الحكمة وعندما فلسف العرب عبادتهم حرفوا الكلمة وأطلقوها على رجال التعبد والفلسفة الروحية. أو مأخوذة من – ثيوصوفيا –بمعنى الاشراق أو محبة الحكمة الإلهية ، ووافق هذا الرأي المستشرقين نولدكة و فون هارمر[4]

6-نسبة إلى الصوفانية :

وهي نبتة في الصحراء[5]،وهي بقلة رعناء قصيرة فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات الصحراء

7-نسبة الى صوفة القفا:

هي الشعرات النابتة في مؤخرة العنق[6]، فأخذوا منها – تصوف – ونسبوا اليها صوفي كأن الصوفي انصرف عن الخلق الى الحق .[7]

8-نسبة الى الصوف:

---

[1] - عبد الكريم الخطيب ، التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، ط1،دار الفكر ، العربي للطباعة والنشر ، 19 كنيسة الأرمن ش الجيش ، ص79.

[2] - د- محمد عبد المنعم خفابي ، الادب في التراث الصوفي ، مكتبة غريب ، الفجالة ،ص 24-25.

[3] - احسان الهي ظهير ،المنسأ و المصادر وط1 و إدارة ترجمان السنية ، قومي بريس -50- لونرمان لاهور و ص 27.

[4] -فاطمة داود ، التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله ، مجلة الحوليات التراث ،العدد 01و2004،ص 78.

[5] - د-أبو العلاء عفيفي ،التصوف الثورة الروحية في الإسلام ،دار الشعب ، بيروت ، ص 21.

[6] - عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق ، ص 78

[7] - سبنسر ، تر منهاج ، الطرق الصوفية في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ،1994، ص 21.

هناك من قال انما سموا صوفية للبسهم الصوف ، وذلك لأنه كان لباس الزهاد والنساك والعباد ، ولباس الرسل و الانبياء ولباس اهل الخشوع والفقر والشظف واغلبهم من الواصلين الى الله [1]. وقال الجنيد[2] : اذا رأيت الصوفي يعنى بظاهره فأعلم ان باطنه خراب والظاهر انه خشونة الثوب [3].

ب –اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات علم التصوف وذلك نتيجة لتعدد وجهات النظر، الامر الذي جعل حسن حلاب يقول بأن الدراسين أوصلوا عدد التعريفات الى ألف تعريف ، وارد في كتب التصوف والطبقات ولقد ذكر الصوفي الفارسي قطب الدين أبو المظفر منصور بن أردشير السنجي المروزي أكثر من عشرين تعريفا ، وكذلك سراج الطوسي والكلاباذي والسهر وردي ، واما القشيري فقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفيين المتقدمين . نختار بعض التعريفات على سبيل المثال لا للحصر[4].

يعرفه أبو التصوف الإسلامي الجنيد البغدادي ت 297هـ/881م[5] فيقول هو تصفية القلب عن موافقة البرية و مفارقة الأخلاق الطبيعية ، و اخماد الصفات البشرية و مجانبة الدواعي النفسانية و منازلة الصفات الروحانية ، و التعلق بالعلوم الحقيقية[6]

يقول عبد الرحمان بن خلدون: أصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة وجاه ومال والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة [7].

---

[1] - عبد بن علي بن محمد بن الجوزي، تلبيس ابليس، ط الأولى، الباب العاشر، دار الفكر بيروت لبنان ،1421ه/2001مص 145

[2] - الجنيد هو ابو القاسم بن محمد بن الجنيد الخران القواريري ، لقبه الاستاذ ابو القاسم في رسالته سيد الطائفة وامامهم زلقبه بعض الشيوخ بتاج العارفين في حكاية ، توفي سنة 277ه ، بغداد للمزيد انظر الى الامام الجنيد سيد الطائفين ، الامام القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز الفواربري قدس الله ورحمه ص 5-8.

[3] - أبو بكر بن إسحاق الكلابادي ، المرجع السابق ، ص 30.

[4] - احسان الهي الظهير ، المرجع السابق ، ص 36.

[5] - سليمة بن حسن ، صلاح الدين هدوش ، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين ، أبو مدين شعيب نموذجا ، مجلة الحياء ، المجلد 22، العدد 31، جوان 2023، ص 769.

[6] - احسان الهي ظهير ، المرجع السابق ، ص 38

[7] - عبد الرحمان بن خلدون و المقدمة بن خلدون ، تر خليل شحادة وسهيل زكارة و ج 1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،2001و ص 611.

وسئل أبو الحسن النووي[1]: ما التصوف؟ قال: ترك كل حفظ للنفس [2] وعن الشلبي[3] انه قال :التصوف برقة مخرقة .

وقال أيضا: التصوف هو العممة عن رؤية الكون [4]

قال السهر وردي: التصوف ترك التصرف، وبذل الروح [5]

مما سبق نصل الى ان التصوف يتصرف الى العديد من المعاني لا تختلف في الغاية ويعود هذا التعدد الى كون التجربة الصوفية تجربة شخصية[6]

المبحث الرابع:عوامل ظهور التصوف ببجاية:

يمكن أن نرجعها الى عدة عوامل دينية، سياسية، اجتماعية واقتصادية وعلمية وتفاعل هذه الأسباب أدى إلى انتشار واسع للتصوف في المنطقة:

أ- العوامل الدينية:

كانت العوامل الدينية من أبرز الأسباب التي ساهمت في دخول التصوف إلى بجاية وانتشاره:

1. الزهد:

لقد شهد المغرب الأوسط بدايةً من القرن الثاني إلى الخامس هجري / 8 إلى 11 ميلادي ، حركة زهدية بدأت مع فترة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب و التي مهّدت لظهور التصوف في المنطقة[7]

---

[1] - أبو الحسن النووي : هو أحد أئمة الصوفية اسمه أحمد بن محمد ويقال محمد بن محمد والأول أصح أبو الحسين النووي ، ويعرف بابن البغوي أصله من خرسان وحدث عن سري السرقطي ، ثم صار هو من أكبر أئمة القوم ، انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ، ص 1676

[2] - أبو بكر بن إسحاق الكلابادي ، المصدر السابق ص 72.

[3]- الشلبي : اسمه المشهور به هو ابو بكر شلبي خرسان الأصل كان فقيها عالما كتب عن الحديث الكثير للمزيد انظر : تاج الصوفية أبو بكرالشلبي حياته وأراؤه ، ط 2 و ص 13-14-15.

[4] -عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري ، الرسالة القشيرية ، ج 2 ، دار المعارف القاهرة ، ص 443.

[5] -بن الجوزي ، المرجع السابق ، ص 254

[6] -سليمة بن حسن وصلاح الدين هدوش ، المرجع السابق ، ص 770.

[7] - الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرن 6 و 7 للهجرة 12 و13 الميلاديين (نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى، الجزائر، 2004م،ص 47.

كما كان لانتشار المذهب المالكي دوراً في تعزيز حركة الزهد و التقشف ، وذلك من خلال فقهائه الأوائل الذين تميّزوا بمعارضتهم للسلطة ورغباتها ، وتمنّعهم من الدنيا و مُغرياتها فكانوا بذلك مثالا يُحتذى به في الزهد والورع [1]، منهم سحنون بن حبيب التنوخي (ت240هـ/854م) الذي انتشر تلاميذه و أتباعه في كافة إفريقية مُتبعين نهجه و أخلاقه فتأثر بهم العديد من زهّاد المغرب الأوسط[2]

وفي القرن الرابع الهجري/ 10 م عَرفت الحركة الزهدية ببلاد المغرب الإسلامي انتشارا واسعاً ، حيث كثُر عدد الزهاد أمثال جِبلة بن عبد الرحمن بن جِبلة الصدفي[3] الذي ترك حياة الترف مُفضلاً حياة التقشف[4]، ومن الأسباب التي كانت وراء تحول الزهد إلى تصوف ببلاد المغرب الإسلامي هو المكانة والتقدير الذي قدّمه عامة الناس لهذه الفئة من الزهّاد و العبّاد ، وما اكتسبه بعضهم من صفات الولاية ، وبذلك تحول العبّاد من درجة الزهد إلى درجة التصوف طمعاً في تعزيز مركزهم في قلوب العامة[5].

2.الرباط :

كان إنشاء الرباطات في المغرب الإسلامي متزامنا مع تعرّض سواحله لهجمات البيزنطيين خلال فترة الفتوحات الإسلامية ، فكانت الرباطات بالقيروان تستخدم لحماية المسلمين و تأهيلهم عسكرياً فترة الحروب ، وفي أوقات السلم مثلت مراكز لتعلم القرآن وعلوم . و يُعد رباط شاكر من أوائل الرباطات في المغرب الأقصى، كما أنشأ الأغالبة رباط سوسة (179هـ/795م) و عُرف برباط مانستير بالمغرب الأدنى . أما في المغرب الأوسط فلم تبرز به الرباطات إلا بعد القرن الخامس الهجري /11 ميلادي

[1] - زينب ملياني، التصوف بالمغرب الاسلامي عصر المرابطين والموحدين ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ،جامعة الجزائر، نوقشت، 2006/ 2007م،ص 41.

[2] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص ص 49.48

[3] - وهو جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي يكنى أبو يوسف من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان سمع من سحنون وروى عنه المدونة . قال عنه سحنون وقد رآه مقبلاً : (إن عاش هذا الشاب فسيكون له نبأ وهو أزهد أهل زمانه). انظر : أبو الفضل عياض موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544ه) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح أحمد بكير محمود ، ج 03، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1387هـ/1967م، ص 247.

[4] - زينب ملياني، المرجع السابق ، ص41.

[5] - محمد حركات البيلي ، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر، 1993م، ص ص99.98.

وذلك بسبب حركة الجهاد البحري التي قامت بها المراسي فشكّلّت بذلك بديلاً مماثلاً للحركة المرابطية[1]، وفي أوائل القرن الخامس الهجري /11م قام الفقيه الزاهد أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي بتأسيس رباط ببونة استقر فيه للتعليم والتأليف فقصده العلماء والطلبة من بلاد الأندلس وإفريقية. وفي بجاية كان قصر اللؤلؤة بمثابة رباط للجهاد والاعتكاف.

ثم إن الموحدين وبعد تأمينهم لسواحل المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن السادس للهجرة / 12م تحولت الرباطات الى مراكز للعبادة والذكر وتقلص دورها العسكري[2].

ب. العوامل السياسية:

كان للمناخ السياسي في الدولتين الصنهاجيتين الحمادية والمرابطية دور كبير في نشأة التصوف الى جانب دولة الموحدين التي ساهمت بشكل ملحوظ في انتشاره[3]

1.سياسة الدولة الحمادية والمرابطية:

كان الجو السائد في كل من الدولة الحمادية و المرابطية عاملاً مساعداً في انتشار التصوف بالمغرب الأوسط ، ففي مستهل القرن السادس هجري /12م تميّز المرابطون بدعوتهم و التزامهم بالمذهب المالكي فكان أمراؤهم مثالاً في الزهد و التقوى ، فقد كان يوسف بن تاشفين (ت 465هـ-500هـ/1061م-1105م) متعبّدا معتدلاً في المأكل والملبس ، وكذلك ابنه علي (ت 500هـ-537هـ/1105م-1142م) كان صوّاماً قوّاماً أقرب إلى الزهاد منه إلى الملوك ، لذا وصفهم المفكر الأمريكي ديل إيكلمان :(بالحكام الذين جمعوا سياسة العقلاء وتقوى الزهاد).

[1] - زينب ملياني، المرجع السابق ، ص ص 45.44
[2] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص ص59.62
[3] - زينب ملياني، المرجع السابق ، ص83.

أما في العهد الحمادي فقد اكتسب أهل الرباطات مكانة خاصة ، كما كان بعض أفراد الأسرة الصنهاجية يسيرون على خطى التصوف ، أمثال أبي يوسف يعقوب الصنهاجي وهو ما شجع العامة للإقبال على التصوف [1] . ومن جهة أخرى فقد كان لسلطة الفقهاء واستحواذهم على المناصب القضائية والعسكرية [2] دافعاً لظهور طبقة المتصوفة بالمغرب الأوسط وذلك لاستعادة التوازن للحياة الفكرية والدينية.[3]

2.سياسة الدولة الموحدية:

مع مجيء المهدي بن تومرت إلى بلاد المغرب الإسلامي حاملاً معه أفكاره التوحيدية ، وداعياً إلى تأويل القرآن و الأحاديث المتشابهة مع ضرورة الأخذ بالمذهب الأشعري ، ومن خلال نشره لهذه الأفكار ظهر تيار صوفي يركز على المجاهدات في العبادة ، ومع مطلع القرنين 6 و 7 هـ أصبح له أتباع في مناطق مختلفة من المغرب الأوسط يتزعمهم كبار الصوفية ، كأمثال أبو يعزى يلنور(ت 572هـ) ، وأبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) ،وأبو زكرياء يحي الزواوي (ت 611هـ/1214م)[4]

ج. العوامل الاقتصادية:

شكل العامل الاقتصادي في المغرب الأوسط أحد أسباب انتشار التصوف وبروزه، فبعد أن تعرضت المسيلة و القلعة لهجمات القبائل الهلالية ونتيجة التخريب الحاصل انتقل الثقل الاقتصادي في القرن السادس هجري/ 12م إلى بجاية وتلمسان[5] فتحولت إلى مناطق ثراء و ظهرت بها مظاهر الفساد في المعاملات التجارية البعيدة عن التعاليم الإسلامية فمالت الطبقيّة لصالح الأغنياء و التجّار ، وهذا ما أدى إلى ظهور فئة المتصوفة حاملين معهم أفكار الزهد والإصلاح[6].

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص ص 85.86.87.
[2] - -خالد بالعربي ،حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6و7هـ/12و13م، مجلة حوليات التراث، العدد14، 2014م، ص59.
[3] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص ص87.8
[4] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق . ص ص 88.89.
[5]- خالد بالعربي ،المرجع السابق ، ص58.
[6] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص ص 94.93.

د. العوامل الاجتماعية:

إن نتيجة الترف الذي شهدته حواضر المغرب الأوسط بداية القرن السادس هجري /12م ، أدى إلى شيوع العديد من الآفات الاجتماعية كالسرقة و الاختلاط بالنساء و ارتكاب الفواحش ،ففي بجاية أدى انشغال ملوك بني حماد ببناء القصور وحبهم للدنيا وزينتها إلى انتشار المعاصي و المجاهرة بها في أوساط العامة ، وهو ما كان له تأثيره السلبي على الجانب الأخلاقي و الاجتماعي و الإخلال بالقيم والمبادئ الإسلامية .

فكان نتيجة شيوع مثل هذه المظاهر ظهور التصوف كنقيض هدفه إصلاح المجتمع و الحد من هذه الآفات أمام عجز السلطات و أجهزتها في محاربتها[1].

د. العوامل العلمية:

1.الرحلات العلمية:

قام الكثير من الزهّاد المغاربة برحلات علميّة إلى المشرق فالتقوا بالزهّاد والمتصوفة المشارقة وأخذوا عنهم[2]، ومن هؤلاء المغاربة البجائيين نذكر: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري المشتهر بـ الأصولي، وكذلك الفقيه الأصولي أبو علي عمر بن احمد وغيرهم الكثير[3].

كما قام أيضا بعض المتصوفة المشارقة بزيارات إلى بلاد المغرب الإسلامي سوآء للإقامة أو التجول فقط ، مثل ذو النون المصري الذي قصد إفريقية ونشر بعض أفكاره فيها .

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص ص 98.99.100.101.
[2] - محمد حركات البيلي ، المرجع السابق، ص 94.
[3] أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الطبعة الثانية، دار الافاق الجديدة ، بيروت، ابريل 1979م، ص ص 208.268

وكانت نتيجة هذه الرحلات الالتقاء برجالات التصوف وكباره وتبادل علوم الصوفية ، وهذا ما كان له أثر بارز في انتشار التصوف في بلاد المغرب الأوسط و الإسلامي[1].

2. المصنفات العلمية:

إن واحدةً من نتائج التواصل بين قطبي العالم الإسلامي مشرقه و مغربه ، سواء عن طريق الحج أو عبر الرحلات العلمية فقد دخلت مجموعة كبيرة من المصنفات الصوفية المشرقية إلى بلاد الغرب الإسلامي .

وقد عكف العلماء و المتصوفة في تدريسها و نشرها ، فكان لصوفية الأندلس الوافدين إلى بجاية دوراً هاماً في تبسيطها و شرحها للطلبة والمهتمين .

و أبرز هذه المؤلفات نذكر: كتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي(ت243هـ) ، وقوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي المكي(ت 386هـ) ، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت 465هـ/1072م) ، وكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م)[2] .

[1] - محمد حركات البيلي ، المرجع السابق، ص 97.
[2] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص ص 62.63.64.

الفصل الأول :الحياة اليومية لمتصوفة بجاية

المبحث الأول: مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم

المبحث الثاني: أخلاقهم ووظائفهم

المبحث الثالث: حياتهم الأسرية وزهدهم في الدنيا

تمهيد :

تميزت فئة المتصوفة في بجاية خلال القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد، بصفات خُلقية وخَلقية جعلت منها فئة بارزة في المجتمع لها وزنها ومكانتها، وذلك من خلال أسلوبهم القائم على التقشف في جوانب حياتهم اليومية المختلفة والتي تصور لنا طبيعة وبيئة عيش هذه الفئة.

المبحث الأول: مأكلهم ومشربهم ملبسهم ومسكنهم

1-ماكلهم ومشربهم

حرص صوفية بجاية على الكسب الحلال ومقاومة شهوات البطن وترويض النفس ضد مغريات الدنيا وزينتها، وحملت الينا الروايات وكتب التراجم والمناقب عن تقشفهم في المأكل والمشرب. [1]

فقد كان مأكلهم بسيطاً متواضعاً مما تُنبته الأرض، فالشيخ أبو زكرياء يحيى الزواوي (ت 611هـ/1215م) كان يقتات على البقول المباحة وإذا ما اشتهى اللحم فإنه يصطاد السمك من البحر[2]. وكذلك الشيخ النجم هلال بن يونس بن علي الغبريني الذي كان يعيش على ما تنبته أرضه ويقتات عليها، وهو ما كان يفعله أيضا الشيخ أبو سليمان داود بن مطهر الوجهاني الذي كانت معيشته من أرض له ببلده يتناول اقلها ويتصدق بأكثرها [3].

وكثيرا ما كانت تنحصر وجباتهم في الخبز والماء. فالشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي الذي كان على صفات السلف الصالح في ملبسه ومطعمه ومشربه فقد كان يملأ إناء الماء لشربه ويسوقه على عاتقه ويحمل خبزه ليخبز

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 161 .
[2] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 127 .
[3] - نفسه ، ص ص 185 ، 262 .

له بنفسه ، وكان الشيخ أبو محمد عبد الله الشريف يأكل من كد يمينه ومثله الشيخ أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات فكان مأكله من تعب يده [1].

وهذا الغالب على صوفية بجاية فكان اعتمادهم على أنفسهم في كسب قوتهم، فالشيخ ابو الحسن الملياني المعروف بابن اساطير كان يحمل خبزه بيده الى الفرن ويشتري ضروريات منزله بنفسه ولا يترك احدا يحمله عنه [2].

اما القطب الصالح وشيخ المشايخ ابو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري[3] فقد بلغ من ورعه وزهده انه لم يكن يأكل من البقلة المسمات ببقلة الروم وذلك لذكر اسم الروم عليها [4]، فقد أكل مما كان يؤتى إليه من طيب الطعام وخشنة [5].

ولكن هذا النظام في الزهد في المأكل والمشرب طبقه الصوفية على انفسهم فقط فقد كانوا يقدمون أفضل ما عندهم لضيوفهم مثل أبو مدين شعيب الذي كان يقدم لضيوفه الطعام والعسل [6].

2-لباسهم:

كان اللباس مهما عند الصوفي لأنه يمثل مظهره الخارجي و يجسد نهجه وسلوكه ومعبرا عن مسلكهم التقشفي والزهدي، وجاء حرص المتصوفة على التقشف في اللباس كمظهر من مظاهر التقوى وحسن السيرة وكانت اغلب ثيابهم من الخشن المصنوع من الصوف[7] ، وكذلك لبس المرقعات لمن لا يجد غيرها [1]. فكان ابو العباس احمد

---

[1] - الغبريني،المصدر السابق، ص ص 194 ، 195 ، 198 .
[2] - نفسه ، ص 227 .
[3] - ابي زكرياء يحيى ابن خلدون ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تق وتح وتع عبد الحميد حاجيات ، ج01، ط خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011م ، ص 164 .
[4] - ابي العباس احمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م) ، **أنس الفقير وعز الحقير** ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، ص23 .
[5] - زينب ملياني ، المرجع السابق ، ص 142 .
[6] - ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص ص 38، 39 .
[7] - صابرينة شتيوي واخرون ، **الحياة الاجتماعية لعلماء بجاية من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبرينيى (ت 704هـ/1304م)** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر ، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي الجزائر، 2019م ، ص66 .

الخراز (ت 600هـ/1206م) يرتدي المرقعة بين ثيابه. وفي بجاية عباءات من الصوف عرفت بالدفافيس (مفردها دفناس ثوب طويل ثقيل) ولبس البعض أثوابا بالية مرقعة على هيئة المتسولين كأبي علي عمر الحباك (ت 613هـ/1218م).[2]

لكن هناك من الصوفية من لم يتقيد بلباس الصوف والمرقعة مثل أبي مدين شعيب الذي كان يتجمل بأحسن ثيابه حتى شبهت حالته بحالة الملوك [3]. ويذكر الغبريني عن الشيخ أبو علي عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف في رحلته إلى المشرق حيث خرج بقميص وعمامة ومئزر وقرقه [4]، وكذلك كان أبو عبد الله بن عبد الحق اليعفري جميل المظهر رائق الملبس .

والظاهر ان هذه النظرة التي بدأها ابو مدين شعيب في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة و التي تأثر بها الكثير من الصوفية اقتصرت على كبارهم فقط أما بقية المتصوفة فقد ظلت الخرقة والمرقعات هي لباسهم الغالب [5].

كما تنوعت الأحذية التي ارتدتها هذه الطبقة فهناك الكثير من الانواع منها ما يسمى البوابيج المصنوعة من الاسل وأحذية مصنوعة من الجلود بالإضافة الى الاحذية المسماة المداس والقلق التي كانت تصنع من الفلين.[6]

---

[1] - ابي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات (ت 617هـ/1220م) ، **التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي** ، تح احمد توفيق ، ط 02 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، الدار البيضاء ، 1997م، ص51 .

[2] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، 164 .

[3] - ابن قنفذ ، المصدر السابق ، ص 94 .

[4] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 200 .

[5] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص ص 164 . 165 .

[6] - روبار برنشفيك ، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م** ، تر حمادي الساحلي ، ج 02، ط01 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1988م، ص 292م .

3-مسكنهم :

بخصوص المساكن التي يأوي اليها الصوفية ببجاية لم يتميز بنوع معين فقد كانوا يقيمون في الجبال وأماكن الخلاء والأماكن البعيدة عن ضجيج المدينة وصخبها، مثل جبل أمسيون في بجاية الذي أصبح محل إقامتهم. وكان أبو زكريا يحيى الزواوي ينزوي في جبل رجراجة خارج بجاية وكان رجال التصوف يقيمون في منازل عادية داخل المدن مثل أبي مدين شعيب وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي[1]. فضلا عن إقامة بعضهم في الرباطات مثل رابطة ابن الزيات ورابطة ابن يبكى في بجاية[2] ، كما تميزوا بظاهرة البقاء في المساجد معظم الوقت مثل أبو النجم هلال بن يونس الغبريني الذي كان يستقر بداره الا اوقات الغداء والعشاء لأنه كان ملازما للجامع الأعظم ليلا ونهارا للتدريس والعبادة .[3]

المبحث الثاني: أخلاقهم ووظائفهم :

1-أخلاقهم :

تميز صوفية بجاية خلال القرن السابع للهجرة بالأخلاق الفاضلة المتجلية في قيم الرحمة والايثار والاحسان والتواضع لتصبح جزءا من مكوناتهم الشخصية، حيث تشير اغلب كتب المناقب الى تعاطفهم مع الفقراء من خلال الصدقة التي اصبحت عندهم مبدا يقوم عليه فكرهم الصوفي [4]. مثل ما كان عليه الشيخ ابو النجم هلال بن يونس بن علي الغبريني الذي كان يصرف اكثر مستغلات ارضه في الصدقات [5]، ومثله الشيخ ابو سليمان داوود بن مطهر الوجهاني [6].

---

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 165.
[2] - عبد المنعم القاسمي الحسني ، **اعلام التصوف في الجزائر من البدايات الى غاية الحرب العالمية الاولى** ،ط 01 ، دار الخليل القاسمي ، الجزائر ،1427هـ ، ص213 .
[3] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص185 .
[4] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص167 .
[5] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 185 .
[6] - نفسه ، ص 262 .

كما اتسموا بالتواضع والتنزه من الكبر فقد اعتمدوا على انفسهم في قضاء حوائجهم فكان ابو الحسن عبيد الله النفزي يملا الماء ويحمله على كاهله[1] ، وكان ابو الحسن علي المليانى يحمل خبزه الى الفرن ويشتري حاجيات منزله بيده [2] . ومن الصفات التي لازمتهم الحياء الذي اجتمع مع الحلم والصبر فقد وصف الفقيه ابن محرز (ت685هـ/1258م) انه كان أحسن البجائيين خلقا يتواضع لطلبته ويلين لهم بالكلام فاحبه طلبته وبالجلوس واشادوا بتواضعهم.

كما اعطوا للطريق حقه فقد كان الفقيه ابو الحسن بن فتوح النفسي يمشي بين الناس لا يلتفتوا عن يمين ولا شماله حياء وادبا ان تقع عينه على معصيه او ان يقل ادبه مع الناس [3].

ومع هذا كله فقد كان للفسحة والتسلية الشرعية جانبا من حياة هؤلاء الصوفية هدفا في دفع الملل والسأم من دروسهم و حلقاتهم العلمية وتحبيب الطلبة فيها ، فالفقيه عبد الحق الانصاري كان تطبعه دعابة في كلامه تروق لطلبته وكذلك الفقيه ابو الحجاج يوسف الجزائري الذي استحسن الغبريني مجالسه العلمية فقال عنه : (كانت له فكاهة مستملحه رحمه الله). ومنه فالفكاهة والمزاح عند الصوفية كانت في مضمونها فكرا تربويا وبعدا معرفيا وخلقيا ثم مفهوما شرعيا [4].

2-وظائفهم :

اشتغل المتصوفة ببجاية في مجالات شتى لكسب قوتهم والاعتماد على انفسهم كما أعطوا أهمية كبرى للعمل أيا كان، فقد مارسوا انواعا مختلفة من الحرف والوظائف فأبو مدين شعيب مارس رعي الغنم وعمل في اوقات الفراغ مع النساخين [5]، وكان

---

[1] - نفسه ، ص 194 .
[2] - نفسه ، ص227 .
[3] - بريكة مسعود ، **المشيخة البجائية في العهد الحفصي – قراءة في الصورة الخلقية والادبية -** ، مجلة المعيار ، العدد03 ، سبتمبر 2020م ، ص ص 15 16 .
[4] - نفسه ، ص 14 .
[5] - زينب ملياني ، المرجع السابق ، ص150 .

أبو محمد بن عبد الله الشريف يأكل من كد يمينه من عمله في الخياطة و بعض تجارة الصوف بسوق بجاية [1]، ومثله الشيخ ابو الزهر ربيع والد الفقيه أبي محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي الذي احترف مهنة الخياطة [2]. ومنهم من لقب بصنعته كالشيخ الصالح أبو علي عمر الصباغ وابو عمران موسى الحلاج الذي كان يحلج القطن بفاس [3].

وكان لبعض المتصوفة أراض زراعية مارسوا بها الفلاحة ويعيشون من مستغلاتها كالشيخ ابو سليمان الوجهاني والشيخ أبو النجم هلال بن يونس الغبريني [4]، وكان منهم من عمل في وظائف مرموقة كمجال الطب والولادة منهم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله السلام ، يقول عنه الغبريني : (وكان له حظ في علم الطب علميه وعمليه وكان مزاولا ومعالجا)[5]، والفقيه الأندلسي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن اندراس الذي يقول عنه الغبريني : (وكان رحمه الله متوليا لطب الولادة ببجاية هو وبعض خواص الاطباء) [6]، وكان بعضهم قد نال شهرة وتولى مناصب عليا كالقضاء مثل الحسن بن علي المسيلي [7]، وايضا من انتصب للإقراء والتدريس بالمساجد والزوايا كعلي أحمد بن الحسن الحرالي الذي تولى التدريس بالجامع الكبير ببجاية و تخرج على يده عدد كبير من الطلبة [8] و أبو مدين شعيب الذي كان يدرس كتب التصوف كالرسالة القشيرية والمقصد الأسنى للغزالي وذلك بزاوية أبو زكرياء الزواوي بحومة اللؤلؤة [9]وهذا الأخير كان يدرس التصوف أيضا في زاويته [10].

---

[1] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 195 .
[2] - ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص 326 .
[3] - ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 38 .
[4] - الغبريني ، مصدر سابق ، ص ص 185.262.
[5] - الغبريني، المصدر السابق، ص 314 .
[6] - نفسه ، ص 76 .
[7] - عبد المنعم القاسمي الحسني ، المرجع السابق ، ص 138 .
[8] - نفسه ، ص 230 .
[9] - نفسه ، ص 168 .
[10] - نفسه ، ص 421 .

المبحث الثالث: حياتهم الاسرية وزهدهم في الدنيا

1-حياتهم الاسرية :

عاش متصوفة بجاية حياتهم الأسرية بشكل طبيعي فزهدهم في الدنيا واعتكافهم على العبادة وتقشفهم لم يمنعهم من ممارسة حقهم الشرعي في الزواج وتكوين الأسر وقيامهم بواجباتهم والتزاماتهم باسرهم، مثل أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الذي كان كلما أقبلت عليه وصيفة بيته لقضاء حوائج البيت قدم لها اضعاف ما جاءت لأجله، وكذلك أبو مدين شعيب على الرغم من انه بلغ مرتبة القطب إلا أنه كان متزوجا [1]فقد تبشره ابو يعزى بأنه سيتزوج جاريه حبشيه و يرزق منها ولدا وفعلا تحققت بشارته · و كذلك الفقيه علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله كان له بنات مستترات [2]، إلا أن هناك من الصوفية من لم يتزوج ولم يكن له الأولاد حتى وفاته كالشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي[3] .

2-زهدهم في الدنيا

مثلما كانت تقشف صوفية بجاية في المأكل والملبس والمسكن فقد زهدوا في الدنيا والملذات لإدراكهم معنى فناء الدنيا و زوالها فكانت جل جلساتهم و حلقاتهم دعوة للتفرغ للأخرة والترهيب من النار والتذكير بأهوال يوم القيامة ، خاصة الفقيه ابو زكرياء يحيى الزواوي يقول عنه الغبريني : (وكان رحمه الله ممن ظهر بانيا على ترك الدنيا والانقطاع الى الدار الاخرة) وقال ايضا : (وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه ولعلوم التذكير وكان الغالب عليه رضي الله عنه الخوف ما يمر بمجلسه إلا ذكر النار والأغلال والسعير وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه هذا هو حاله دائما...).[4]

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 169 .
[2] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 138 .
[3] - الطاهر بونابي ، المرجع سابق ، ص 170 .
[4] - ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص 429 .

كما اتصف صوفية بجاية بصفات تعبدية كالصيام والقيام وإطالة الصلاة واسترزاقهم من كدهم والاقتصار على القليل من الأكل والشرب والملبس فالصوفي ابن اساطير كان متقللا منها ولا يرغب في ملكاتها ولا شهواتها منقطع للعبادة وتحصيل اعمال الأخرة[1] ، اما عبد الحق الإشبيلي فقد كان أيضا متقللا في الدنيا مقتصرا على الكافي منها [2] .

كما لم تكن المناصب العليا في الدنيا أبلغ همهم ولا أقصى مطالبهم بل زهدوا فيها رغبة في السلامة والتعفف فالصوفي ابن الطير ولي قضاء بجاية محمولا عليه وهو لا يريد[3] ، أما عبد الحق الإشبيلي كان يبتعد عن المشاركة في الحياة السياسية وتولي المناصب الرسمية [4]، ومنهم الشيخ أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي الذي ترك مالا وعقارا قاصدا اولياء الله الصالحين [5]. والبعض الآخر كان في كتابة الشعر والنثر مرهبا من الدنيا واهوائها ومذكرا بالأخرة وأهوالها وقد كتب ابن الغماز وهو قاضي بجاية وخطيب جامعها الأعظم يحذر الناس من المعاصي ويذكرهم بالموت قائلا:

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغته

وانت على سوء من الفعل عاكف

واياك ان تمضي من الدهر ساعة

ولا لحظة إلا وقلبك واجف

وبادر بأعمال تسرك ان ترى

[1] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 227 .
[2] - عبد المنعم القاسمي الحسني ، المرجع السابق ، ص 185 .
[3] - الغبريني ، مصدر سابق ، ص 221 .
[4] - عبد المنعم القاسمي الحسني ، مرجع سابق ، 185 .
[5] - نفسه ، ص 271 .

إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

ولا تيأسن من رحمه الله أنه

لرب العباد بالعباد لطائف [1].

من خلال كل ما سبق يتبين أن صوفية بجاية خلال القرن السابع للهجرة سلكت مسلكا تقشفيا قائما على الزهد والاعتكاف تجسد في حياتهم اليومية من ملبس ومأكل ومشرب، كما كان التواضع والإيثار والتنزه من الكبر أبرز السمات التي ميزت هذه الفئة من المجتمع البجائي، ولم يكن وصولهم الى هذه الدرجة من العبادة والتقوى عائقا في ممارسة سلوكياتهم بشكل طبيعي كاحترافهم المهن البسيطة أو الوظائف المرموقة وممارسة حقوقهم الشرعية في تأسيس الأسر.

[1] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 121 .

الفصل الثاني :علاقات متصوفة بجاية

المبحث الأول: علاقة المتصوفة بالسلطة

المبحث الثاني: علاقة المتصوفة بالفقهاء

المبحث الثالث: علاقة المتصوفة بالعامة

المبحث الأول: علاقة المتصوفة بالسلطة:

لقد عاش المتصوفة خلال القرن السابع هجري والثالث عشر الميلادي في بجاية علاقات متنوعة ومختلفة مع السلطة الموحدية والحفصية، وخاضت صراعا مع الفقهاء حول بعض المسائل الفقهية والدينية ويتجلى ذلك فيما يلي :

أ-علاقتهم بالموحدين:

لقد قام خلفاء السلطة الموحدية بدورهم من دعاة الزهد والتقشف، بنشر أفكارهم فزعيم دعوتهم المهدي بن تومرت اشتهر بالزهد في الدنيا وسار على نهجه عبد المؤمن بن علي اذ يعتبر من الزهاد المثقفين، فلم يكن يلبس الا الصوف تواضعا لله وزاهدا في متاع الدنيا الفاني، كما انه تتلمذ على يد الصوفي ابي محمد عبد السلام التونسي وابنه يعقوب يوسف (ت 580هـ / 1184م) فكان هذا من المتصوفين والمتقشفين في حياته ، وكان يبعث للصوفية ويسألهم الدعاء له فقد كثر المتدينون والصالحون في عهده فكان " يصل من يقبل صلتهَ منهم بالصلاة الجزيلة " ويزورهم لتبرك بهم ويحضر جنائزهم . ولقد كان يعقوب المنصور (595هـ/1198م) يبعث للمتصوفة لزيارته بمراكش وهذا دليل على علاقته الحسنة بهم ومدى تقديره لهم [1].

ونرى كذلك سياسة الخليفة الناصر وخليفته المستنصر (611هـ/620هـ) (1215م/1222م) التي كانت مفعمة بالود والاحترام والتبجيل للصوفية [2]

ويتمثل ذلك في استدعاء امير المؤمنين المستنصر للصوفي أبو القاسم محمد بن احمد الاموي الذي طان متوليا الطب في ولاية بجاية، بعد ان سمع عن ذكائه وجودة فكره وجعله في سلك أطبائه ومن جملة جلسائه [3]. ولم يتوقف عطاء الموحدين عند هذا الحد من التقدير والاحترام، فقط بل وصل الى حد تخصيص رواتب لهم من ضمن شرائح المجتمع، واقتطعوا لهم الأراضي كمنح عبد المؤمن بن علي ارض زراعية للصوفي ابي النجم هلال بن يونس الغبريني في بجاية [4].

---

[1] - زينب مليانة ، المرجع السابق ، ص ص 185-186 .
[2] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص ص 198-199.
[3] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 46
[4] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 199.

واضافة الى ذلك فقد اوكل خلفاء الموحدين مناصب عليا الى بعض الصوفيين في بجاية الا ان هناك من قبل بها وهناك من رفضها، ومن الذين قبلوا بها الصوفي أبو محمد ن ويعد أبا فارس عبد العزيز عمر بن مخلوف الذي اسند اليه قضاء الانكحة ببجاية مع بعض قضاتها ثم ولي القضاء مستقلا بمدينة بكر ثم قسنطينة ثم الجزائر[1] .

وكذلك الصوفي أبو محمد عبد الله محمد بن صالح احمد الكتاني الذي ولي النظر في الانكحة نائبا عن قضاتها مدة ، وولي إقامة الفريضة والخطبة بجامعها الأعظم ما يزيد على ثلاثين عاما [2].

وأيضا الصوفي أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف العنابي حيث كان ينشئ البياعات والخطب والكتب السلطاني، أنشئ وجوبا وولي قضاء بجاية أيضا [3] .

اما بالنسبة للمتصوفة الذين رفضوا هذه المناصب منهم:

الصوفي أبو العباس احمد بن عباس بن عجلان القيس، حيث عرض عليه قضاء حضارة افريقية فتمنع منها، وطلب منه امير المؤمنين المستنصر الاجتماع به فاعتذر وقال اني لا اصلح لذلك لعد معرفتي بلقائهم [4] .

وكذلك الصوفي عبد الحق بن ربيع البجائي، حيث عرض عليه القضاء في بجاية فامتنع عن ذلك [5]

وقد قبل الصوفية الرواتب والهدايا والهبات من اجل مساعدة الفقراء والمعوزين [6].

وقد كان خلف اعتناء الدولة الموحدية بفئة الصوفية أهدافا سياسية، فالتقرب والإحسان الي الصوفية يقربهم من العامة، لتغطية عجزهم بالقضاء على الفقر والتمايز الطبقي المتفشي داخل المجتمع. وذلك من خلال اهداء ارض للصوفي ابي النجم هلال بن يونس الغبريني الذي يعد من أعمدة المذهب الظاهري المذهب الرسمي للدولة[7] .

[1] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 37

[2] - الغبريني ، نفسه ، ص 50

[3] - ، نفسه ، ص 65

[4] - نفسه ، 85

[5] - عبد المنعم القاسمي الحسيني ، المرجع السابق ص 183.

[6] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 199.

[7] - نفسه ، ص 200.

بالإضافة الى ذلك حضورهم جنائز الصوفية وتكليفهم بتجهيز مراسم الدفن كما فعلوا عندما توفى أبو زكرياء يحي الزواوي اذ ارسل ولي بجاية نقيبا وكلفه بالمحافظة على الجثة، و وتجهيز الجنازة وحضر هو ووجهائه للصلاة عليه [1].

ولكن هناك من رفض التقرب من السلطة الموحدية، وتتبعها بالنقد والمعارضة السلمية من خلال كشف الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المتدني، ومنهم الصوفي أبو مدين شعيب عندما بين الجور السياسي الذي مارسه الخليفة الموحدي[2] يعقوب المنصور الذي نتج عنه فساد العامة بقوله: بفساد العامة يظهر ولاة الجور، بينما أعتمد الصوفي أبو علي حسن المسيلي أسلوب النهي عن المنكر بالحجة والاقناع في الجامع الأعظم مما جعل العامة يتحولون عن قضاة الموحدين و فقهائهم وعدم الاستعانة بهم في كل الأمور

وعندما كبرت شعبية المتصوفة فتخوفت السلطة الموحدية منهم، فقامت بالضغط على الصوفية ومنه بين ذلك تحذير والي بجاية الحسن المسيلي بان لا يخوض في المشاكل السياسية والانشغال بأمور العامة فقط، وأيضا استدعاء ابي مدين شعيب من قبل الخليفة المنصور بعد تحريض الفقهاء له بسبب خوفهم من شعبيته الكبيرة.

ومن خلال ما سبق يتضح ان الموحدين أدركوا أهمية الصوفية كقوة فعالة في المجتمع فعملوا على استثمارها، لخدمة مصالحهم وقد وفقوا لحد ما ولكنهم لم يتوانوا في معاقبة الذين تطلعوا اركانهم [3].

[1] -الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 200.
[2] - نفسه ، ص 201.
[3] نفسه ، ص 202.

ب-علاقة المتصوفة بالسلطة الحفصية:

أظهر الامراء و الولاة الحفصيين احتراما كبيرا لصوفية بجاية [1] فقد كان زكريا الأول (1228/628م) اميرا زاهدا متقشفا [2]، وان اكثر لباسه الصوف [3] وكان يكن احتراما كبيرا لصوفية بجاية من خلال خدمتهم واحترامهم واستدعائهم للمجلسة كاستدعاء ابي العباس احمد المتوسي المليانى ليستمع اليهم نظرا لقدراته العلمية .كما سار اليه ابي يحي زكريا الذي يعد اول والي حفصي على بجاية على خطا والده باحترام الصوفية وتوقيرهم ومن ذلك فقد عرض مرتبا من اعشار الديوان كل شهر للصوفي ابي زكريا يحي بن محجوب لكنه رفض ذلك [4].

وقال: " ان اسمي في ديوان الوجود المطلق فلا اجعله في الديوان المقيد لان الاطلاق أوسع من التقليد وهو في ديوان الحق فلا اجعله في ديوان الخلق " [5]

كذلك سار الوالي محمد الأول المستنصر على خطا والده وجده في احترام الصوفية وتبجيلهم فقد كان يزور الصوفية في منازلهم للتبرك بهم وإغدافهم بالهدايا ومنهم الصوفي نصر الله البجائي، وابي القاسم بن عجان القيسي ومن شدة اعجابه بالصوفية عرض عليهم مناصب عليا في الدولة، كاستدعاء ابي عجلان القيسي الى قضاء تونس. وعرض كذلك القضاء على عبد الحق الربيع في قسنطينة وقد عرض عليه من قبل في بجاية لكنه كان يرفض في كحل مرة. وكذلك كان يفتح المجال للصوفية بممارسة النشاط السياسي بكل حرية، حيث كان المستنصر لا يناقش القضايا هم ومساعدوه الا بحضور الصوفي ابي محمد عبد الله بن عبادة القلعي الذي كان يمثل لسان المجتمع و انشغالاته وهنا يبرز دور الصوفية كوسطاء بين الشعب والسلطة، وهناك أيضا منهم من ارتقى الى مكانة المصادقة على المواثيق الدولية كاستدعاء الولي المستنصر للصوفي أبو القسام بن عجلان لمناقشة معاهدة الصلح بينه وبين الغزاة الفرنسيين عام 669هـ/1270م والتوقيع عليها [6] .

---

[1] - خالد بلعريبي ، المرجع السابق ، ص 64

[2] - الطاهر بو نابي ، المرجع السابق ، ص 205

[3] - ابن القنفف القسنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، ص 113

[4] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 205.

[5] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 61

[6] - الطاهر بونابي ،المرجع السابق ، ص 206.

وقد كان المستنصر متحيزا للصوفية فقد قام بعزل والي بجاية لما أساء معاملة الصوفي أبا عبد الله محمد القصري. وقد حضي الصوفية بمكانة عالية جدا و امتيازات كبيرة في عهد انفصال ابي زكرياء بن إسحاق بحكم قسنطينة وبجاية إضافة الى ذلك سمح للتيارات الصوفية والفلسفية بممارسة النشاط السياسي بحرية مطلقة دون مصادرة او إكراه . [1]

ورغم ذلك فقد وقف بعض متصوفة بجاية موقفا معارضا لسياسة الحفصيين في بجاية التي كانت تتذر بانفجار الأوضاع الاجتماعية، كما عارضوا الولاة عندما كانوا يخالفون أمور الشريعة كما فعل أبو محمد عبد الله محمد الشاذلي (191هـ/1292م)[2].

المبحث الثاني: علاقة الصوفية بالفقهاء:

لقد تنوعت العلاقات بين الصوفية والفقهاء ببجاية خلال القرن 7هـ/13م حيث جمع صوفية المذهب المالكي وفقهاء الظاهر صراع سلمي بينما جمع صوفية الاتجاه الفلسفي والفقهاء صراع قوي .

أ-علاقة متصوفة المالكية بفقهاء الظاهر:

لقد غلب الطابع المذهبي على الصراع الأول بين متصوفة المالكية وفقهاء الظاهر فعندما استولت الدولة الموحدية على بجاية تبنى الفقهاء المذهب الظاهري وهو المذهب الرسمي للدولة. اذ من خلاله تمكن الفقهاء من التقرب من سلاطين وحكام الدولة حيث قاموا:

-أولا بالدعوة الى الاخذ بظاهر النص في الكتاب والسنة، ورفض التأويل والقياس.

-ثانيا نشر كتب أبي محمد علي بن حزم.

مما أدى بالصوفية الى التصدي لهم بالمرصاد وذلك من خلال:

تأليف أبو علي المسيلي كتاب النبراس في الرد على منكر القياس، وكذلك ألف الصوفي أبا زكريا يحي الزاوي مجموعة من المؤلفات من بينها " حجة الايتام وقدوة الانام " يهاجمون فيها فقهاء الظاهر وينتقدونهم [3]

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 207

[2] -خالد بلعربي، المرجع السابق ، ص 64.

[3] -الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص ص212-213

بينما قام الصوفي أبو مدين شعيب بتقرير الفتاوى عن المذهب المالكي واتهام الفقهاء الظاهر بالدجل بقوله: بفساد الخاصة بينهم دجاجلة الدين الفتانون.

وعندما لم يتمكن الفقهاء من مجابهة الصوفية اصبحوا يحكون المؤامرات وتحريض السلطة عن الصوفية [1].

فقاموا بالوشاية ببعض المتصوفة الذين رأوا انهم يشكلون عليهم خطرا لشعبيتهم ، وأدعوا انهم يشتبهون بالمهدي[2] الا انهم أوغلوا صدر الخليفة المنصور عليهم اذ وامر باستدعاء احد المتصوفة ، لكن مع الحرص على راحته اثناء الطريق مما يؤكد تحريض فقهاء السلطان فلو كان من نفسه لأمر بإحضاره باي طريقة لكنه لم يتمكن من الوصول اليه ووافته المنية في الطريق اليه [3]، وكذلك قام الخليفة المنصور باستدعاء أبا زكريا الزاوي أيضا لكنه بعث احد تلاميذه ، الذي حمل معه مؤلفات شيخه وهو أبا محمد عبد الكريم الحني وعند وصوله قام الخليفة المنصور بعقد مجلسا له ، فقامت بينه وبين الفقهاء مناقشة حادة انتهت بهزيمتهم. فغلب على امره فترك أبا زكريا الزاوي وشانه[4]، وقد قاموا باتهام المتصوف أبا محمد الماجري بالبدعة والتضليل بسبب أسلوب زهده وتقشفه الى ان ضاق به الحال فرأى في منامه قائلا يقول له : لا تلتفت الى هؤلاء الفقهاء المنكرين وتسألهم الا عن مسائل الفقه فانهم كلهم أرضيون ما فيهم سماوي [5]. ورغم كل هذه الصراعات المذهبية بين المتصوفة والفقهاء فهناك علاقة بين صوفية المالكي وصوفية المذهب الظاهري، وقد كان الشيخ أبو محمد عبد الحق الاشبيلي ظاهري المذهب [6] .يحضر مجالس الشيخ أبو مدين شعيب وتجمع بينهم علاقة ودية فكان يصر عند دخول الشيخ عبد الحق الإشبيلي الى مجلسه ويقول :"هذا وارث الحق " وكان قريب جدا وصديق للفقيه أبي علي المسيلي [7].

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، 212-213.
[2] -ابن القنفد ، المصدر السابق ، ص 102.
[3] -الطاهربونابي ، المصدر السابق ، ص 213-214.
[4] -زينب مليانة ، المرجع السابق ، ص 206.
[5] -التليدي عبد الله بن عبد القادر ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، ط3 ، دار ات مان ، الرباط 1421ه/2000م نص 109
[6] -احمد بن محمد المقري التلمساني ، نوح الطيب من غصت الاندلس الرطيب ، ج1، دار صادر بيروت ، 1408ه، 1988م ص 164.
[7] -الغبريني ، المصدر السابق ، ص 20-21.

وكذلك ابن العربي كان ظاهري المذهب، وعند دخوله الى بجاية التقى بشيخ المالكية أبو زكرياء الزاوي بعد وفاة الشيخ أبو مدين شعيب استفاد من علمه واطلع على مؤلفاته ومن خلال ما سبق نرى ان المذهبية تختفي عندما يميل رجال المذاهب الى التصوف [1]. اما في فترة حكم الحفصيين لبجاية الذين سمحوا بعودة الذهب المالكي الى ان أصبح هو المذهب الرسمي للدولة مما ادي بذلك الى تميز العلاقات بين المتصوفة والفقهاء ببجاية وذلك بسبب تقبل الطرفين لبعضهما البعض ، فقد كان فقهاء الظاهر يحضرون مجلس المتصوفة دون تميز بانهم ظاهريين ، بالإضافة الى ان الفقهاء والصلحاء والمتعبدون يجتمعون في مسجد أبي زكري المرجاني في حومة اللؤلؤ في للاستماع المفيد للكتاب والسنة عن نهج السلف الصالح [2].وقد تطورت العلاقة بينهم الى ان اصبح الفقهاء يذهبون الى المتصوفة لمعرفة احوالهم ، المستقبلية منهم أبو محمد بن عبد العزيز بن كحيلة وأبو محمد عبد المنعم بن عتيق ، لما ذهبا الى حسن الحرالي [3] .

وكذلك قد اتحد بعض الفقهاء مع المتصوفة في محاربة الشعوذة والمشعوذين وذلك عند نزول احد أدعياء أحد التصوف من المغرب الى بجاية يدعى بأبي حسن الطيب مع اتباعه بحيث دخل المسجد الذي كان فيه الشيخ أبو الحسن عبد الله ابن احمد الازدري ليحي درسا دون ان يلقي التحية ، فأمره بإلقاء التحية فأبى وتجاهله وقال الى أتباعه اذكروا الله فوقع بينهم جدال حاد وكبير وصل بينهم الى طريق مسدود ، فأمر بنفيهم واخراجهم من البلاد وقد ساند الفقيه أحمد بن أحمد الغبريني موقف الصوفي أبي الحسن عبد الله بن أحمد الازدري بقوله : " والنفي في حق هؤلاء قليل ، وانما الواجب ان يعاملوا بأسوأ وهؤلاء جملة من الاغبياء لا علم ولا عمل ولا تصوف ولا فهم " [4] .

[1] -الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 814.
[2] - نفسه ، ص 215
[3] - نفسه ، 2016
[4] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 63.

ب-علاقة المتصوفة بالاتجاه الفلسفي:

أما العلاقة بين صوفية التيارات الفلسفية وفقهاء السلف، فقد تميزت بالصراع والعداء بسبب نظرة فقهاء السلف الى المتصوفة بالإشراق ووحدة الوجود والوحدة المطلقة على انهم خارجين عن الشريعة وزندقة وكفر[1].

ومن اعمال الفقهاء ان اتهموا الصوفي أبا الحسن الحرالي بقصوره في المذهب المالكي مدعين تفوقهم عليه رغم أنه كان يقارن بين تهذيب أبي سعيد البرادعي ومدونة سحنون وبين ان التهذيب مخالف في الكثير من مواضع المدونة ، كما كان ينبه الى التحريف الذي شاب أراء الامام مالك جراء عملية النقل ومن اعمال الفقهاء انهم اتهموا الصوفي أبا حسن الحرالي بعد معرفته في المذهب المالكي وابطال ما يوحي في مجالسه ومن بين ذلك لما افتى في وجوب الغسلات الثلاث اثناء الوضوء واعتراض الفقيه أبو زكريا اللقني نقلا وفقها، ودار بينه وبين الصوفي الحرالي وتلاميذه مناقشة حادة وشديدة الى أن تدخلت السلطة الحفصية ، لفذ هذا النزاع خوفا من التصادم والاشتباك فيما بينهم [2] وكذلك قام الفقهاء بهاجمة الصوفي محمد الدين بن العربي عند دخوله بجاية حيث قام بإدخال كتاب موقع النجوم الذي أثر في التصوف الفلسفي الذي جعل صراع بين المتصوفة والفقهاء، وهذا ما أدى بالفقهاء الى مهاجمته هو وفلسفته رغم انه لم تكون نزعته سياسية [3].

[1] -الطاهر بو نابي ، المرجع السابق ، ص 217.

[2] -نفسه ، ص 118.

[3] -نصيرة بوشارب ، التصوف في بجاية ، ق (6-9ه/ 12-15م) مذكرة ماستر تاريخ وحضارات المغرب الأوسط ، قسم التاريخ جماعة ، غرداية ، 1436ه/1437ه/2015م-2016م ، ص 50

البحث الثالث: علاقة المتصوفة بالعامة:

لقد كان للمتصوفة مكانة خاصة عند العامة، وهذا بسبب ما يقدمه المتصوفة من خدمات وقضاء حاجات للعامة والتضحية لأجلهم وبناء شخصيتهم المميزة التي تحلوا بها وورع وتقوى.

وقد بلغ بعض الصوفية مكانة كبيرة جدا عند العامة، فأمروا أبنائهم بزيارتهم وتقبيل أيدهم للحصول على بركاتهم ودعائهم، وهناك من قدسهم وجعلهم معصومين من الخطأ وذلك لدورهم المهم في المجتمع، وإقناع العامة ان في خدمتهم واحترمهم ينالون الاجر والثواب.

يقول الشيخ أبو مدين شعيب " أبناء الدنيا يخدمهم العبيد وأبنا الاخرة يخدمهم الاحرار"[1] وخاصة في القرن 7ه فقد بلغ المتصوفة رتبة عالية جدا عند العامة، بفضل أعمالهم النبيلة اتجاههم اذ عمل المتصوفة على مواجهة الازمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية والمجاعات، والانحلال الأخلاقي بعد عجز السلطة والفقهاء والاغنياء وأصحاب الجاه عن مساعدتهم. وهذا ما ادي بالعامة الى الاستعانة بالصوفية وكرامتهم في حل مشاكلهم وفك كربهم والالتفاف حولهم.

ومن أعمالهم انه عند إصابة اهل بجاية في أوائل القرن 7ه بمجاعة[2] فامتلأت شوارعها بالفقراء والمعوزين الذين لا يملكون المأوى ولا المأكل ولا الملبس، ولم تستطع السلطة الموحدية والاغنياء وأصحاب الجاه مساعدتهم، فقام الشيخ الصوفي أبو زكريا يحي الزاوي بجمع المال من أعيان المدينة واشترى فندقا بثلاثمائة دينار حوى فيه كل الفقراء والمعوزين[3] الى ان مرت الازمة في العام الموالي، وانصرفوا الى أماكنهم.

وكذلك عمد وقوع جفاف في بجاية وارتفع زق الماء الى أربعة دراهم وابح الناس يجلبون الماء من الوادي الكبير، فأمر السيخ الصوفي أبي حسن العرابي تلاميذه بجلب الماء وسقي الفقراء الذين عجزوا على ذلك، وقام الشيخ أبي حسن العرابي في مسجد الامام المهدي بالدعاء للنزول المطر ولم تمضي ساعة وإذا السماء تمطر وسقى جميع الناس[4].

---

[1] - الغبريني، المرجع السابق، ص 12.
[2] - انظر الملحق رقم 03
[3] - انظر الملحق رقم 01.
[4] -نفسه، ص 90-91.

وكذلك اعتمد الصوفية عن الصدقات لإعانة الفقراء والمساكين للتخفيف عنهم، ومن بينهم الصوفي أبو النجم الهلال بن يونس الغبريني كانت له ارض زراعية يعيش منها ويتصدق بأكثرها. وقد كان أيضا للصوفي أبو سليمان داود بن مطهر الوجهاني ارض يستهلك أقلها ويتصدق بأكثرها [1]بينما كان الصوفي أبو محمد بن حجاج بن يوسف يتصدق بمرتبه كله ويعيش من فوائد أرض ورثها عن ابيه في الجزائر[2].

بالإضافة الى ذلك فقد كان العامة يرون في الاعتقاد بالصوفية مخرجا من الازمات الاجتماعية والاقتصادية، اذ كان أهل بجاية يقصدون أبا الحسن عبيد الازدري ولم يقتصروا عن الاحياء فقط بل تعداه الى الأموات أيضا، فقد كانوا يذهبون عند قبورهم ويتبركون بهم لتفريج كربهم مثل قبر ابي حسن المسحي، في بجاية وكذلك ضريح أبي زكريا يحي الزاوي[3].

وقد ركز جانب من الكرامات عن التصدق الى الفقراء والمعوزين، وتعتبر رسالة موجهة الى اعيان البلاد وأصحاب الجاه لكي يتصدقوا[4].ومن بين هذه الكرامات:

أن رجلا محتاج أتى للصوفي أبا الحسن علي بن محمد الزاوي وكانت له عائلة فأعطاه أربعة امداد قمح وقال له: "لا تتناولها إلا وأنت على طهارة ولا تتناول منها امرأة فحملها " فلزم ذلك فكفاه الطعام الى أواخر الشتاء واوائل الربيع الى دخول الصيف وكان هذا من حصاد أرضه[5].

[1] - الغبريني، المصدر السابق، ص ص 106-108
[2] -نفسه، ص 145
[3] -الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 173
[4] -نفسه، ص187
[5] -الغبريني، ص ص 74-75

الفصل الثالث: الأحوال الاجتماعية لمتصوفة بجاية خلال القرن 7ه/13م

المبحث الأول: دور المتصوفة في حل الخلافات والنزاعات

المبحث الثاني: دور المتصوفة في إصلاح المجتمع

المبحث الثالث: دور المتصوفة العلمي والديني

تمهيد:

لقد أصبحت فئة المتصوفة في المغرب الأوسط و خاصة الحاضرة بجاية خلال القرن 7هـ/13م ، المُتنفس الوحيد للخروج من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجها المجتمع وذلك بعد عجز السلطات وطبقة الفقهاء والأغنياء ، وهو ما يعكس مكانة المتصوفة و تأثيرهم في أوساط المجتمع البجائي .

المبحث الأول: دور المتصوفة في حل الخلافات والنزاعات

ساهم متصوفة بجاية خلال القرن 7هـ/13م في حل العديد من القضايا والمسائل المتعلقة بالمجتمع البجائي.

فقد كان أبو مدين شعيب (ت 594هـ / 1198م) تُعرض عليه المسائل و المشكلات فيأتي لها بأبدع التأويلات و الحلول [1]، وكان أولياء و متصوفة عصره يأتونه من الأمصار والبلدان البعيدة للاستفتاء فيما يُعرض لهم من المسائل والمُعضلات ومن جملة المسائل التي قام بحلها حين اختلف طلبته في حديث النبي عليه الصلاة والسلام (إذا مات المؤمن أُعطي نصف الجنة) وصعُب عليهم فهمه فقالوا أبموت مؤمنين يستحقان كل الجنة ؟ فقصدوه للإجابة وكان حينها في مجلسه يتكلم على رسالة القشيري فأجابهم في الحال بدون سؤال وهذا من كراماته رحمه الله ، فقال: المراد أنه يعطى نصف جنته هو فيكشف له عن مقعده يتنعم به وتقرَّ عينه ثم النصف الآخر يوم القيامة .[2]

وقد ساهم المتصوفة أيضاً في إصلاح ذات البين بين الناس وحل الخلافات الأسرية التي تحدث بين الزوجين وغالباً ما تنتهي بالطلاق ، فقد قام الشيخ أبو مدين شعيب

[1] - ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق ، ص 17.

[2] - يوسف بن اسماعيل النبهاني (ت 1265-135هـ) ، **جامع كرامات الاولياء** ، تح ومر ابراهيم عطوة عوض ، ج02، ط01، مركز اهلسنة بركات رضا فوربندر غجرات ، الهند ، 1322هـ/2001م ، ص120.

يوما بالإصلاح بين أحد تلاميذه و زوجته التي غَاضبته ليلاً وعزم على فراقها بأن يعيدها فأفتى له بأن يعتبرها كفارة ولا يعود لمثل ذلك [1]، ومثله قام الفقيه أبو الفضل القرطبي في حل مشكلة بين رجل وزوجته التي تركها لأنها ولدت له بنتاً [2].

كما كان المتصوفة على درجة عالية في الحرص على الوقوف مع ظاهر الشرع وتطبيقه فقد عاتب الفقيه أبو علي المسيلي حفيده الذي إستنابه في الأحكام الشرعية واستخلفه مكانه فقد تحاكمت عنده يوماً امرأتين تدَّعي إحداهما على الأخرى أنها لم تعد لها الحليِّ الذي استعارته منها فشدّد الحفيد على المُنكرة وضيّق عليها حتى اعترفت وأعادت الحليِّ ، ولكن هذه المسألة أغضبت جده الفقيه فقال له معاتباً : (إنَّما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : البيِّنة على المدعي واليمين على من أنكر) وبعد هذه الحادثة استدعى الشيخ شاهدين وقام بتأخيره [3].

وهذا دليل على حرص المتصوفة على العمل بمذهب الإمام مالك وتطبيق الاحكام الشرعية الصحيحة فقد شغل كثيرٌ منهم مناصب القضاء وانتصب للفتوى وذلك لحل الخلافات والنزاعات بين الناس بالعدل وفق ما تقتضيه التعاليم الشرعية.

وكان لمتصوفة بجاية و من خلال كراماتهم دورٌ في الحروب والنزاعات فقد قامت الحرب يوماً في المغرب بين المسلمين والفرنج وكانت الغلبة لهذه الأخيرة فأخذ الشيخ أبو مدين شعيب سيفه وخرج إلى الصحراء مع جمع من أصحابه وبينما هم على كثيب من الرمل إذ بالخنازير بين يديه فأخذ يقطع رؤوسهم ويقتل منهم الكثير، فلما سُئل عن ذلك قال: هؤلاء الفرنج وقد خذلهم الله تعالى، وفعلا غُلب الفرنج في نفس الوقت وهذه من كراماته أيضا رحمه الله[4] .

[1] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص190.
[2] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 174.
[3] - نفسه ، ص 37.
[4] - النبهاني ، المصدر السابق ، ص 117.

وتماماً ما حدث مع الشيخ أبو عبد الله العربي عام الأركش الذي هزم فيه النصارى حيث احتزم يوماً وركب قصبة ومسك بأخرى في يده وأخذ يكّر ويفِّر وهو يتصبب عرقاً حتى رمى بالقصبة على وجه عدوه قائلا: في سبيل الله ، فكان يومها من جملة المجاهدين رحمه الله [1].

وهذا دليل على أن المتصوفة ومن خلال كراماتهم كان لهم دورٌ فاعل في الجهاد في سبيل الله، كما قصدهم العامة وخواص الناس في حل مشاكلهم وذلك لما تميّزوا به من حكمة وعدل وتقوى.

المبحث الثاني: دور المتصوفة في إصلاح المجتمع

لقد سادت مظاهر الفساد الأخلاقي في المجتمع البجائي من انحلال وتردي للقيم نتيجة الترف والبذخ فكان للمتصوفة دورٌ فعّال على الصعيد الاجتماعي لما تميّزوا به من ورع وحكمه ومجاهدة للنفس إلى جانب كراماتهم الأمر الذي أثر في أخلاق المجتمع وشرائحه [2].

فقد ساهم المتصوف في كفاية الناس من السرقة حيث جاء رجل إلى الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الزواوي يسأله أن ينظر له في قوتٍ له ولعائلته فأخرج له الشيخ أربعة أمدادٍ قمحاً من منزله فلا يزال الرجل يأكل منها حتى حصوله على الأكل من حراثه فكفاه بذلك سؤال الناس أو التفكير في الاعتداء عليهم [3].

ومن المواقف التي تعرض لها الصوفية في الكشف عن السرقات من خلال كراماتهم أن الشيخ محمد بن إبراهيم الأصولي حضر يوماً المجلس السلطان وعرضت فيه الجواهر النفيسة فلما عُدت فُقِدت منها واحدة فأشار على السلطان أن يحضر قُلة من

[1] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 49 .
[2] - فايزة بوزياني ، المرجع السابق ، 84.
[3] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 126.

الماء ويدخل كلٌ من الحاضرين يده ليُعرف السارق فلما وصلوا إلى الشيخ امتنع وقال صُبوها فإن وجدتم حاجتكم وإلا فهي عندي وفعلاً صبُّوها فوجدوها ، وهكذا خلصَ من الشك واكتُشف السارق وهذا من كراماته ونُبله [1].

وقد حرص المتصوفة أيضاً على إنكار شهادة الزور ومحاربتها، فقد سُئل الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الأنصاري عن أولياء الله فقال:" شهود القاضي لأنهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة فإن كانت الشهادة بهذه الصفة فلا شيء أجل منها وان كانت خطة فلا شيء أخسّ منها "[2].

ومن المظاهر التي حاربها المتصوفة في المجتمع هي ظاهرة التشبه بالنساء لما تُخلفه من انحلال وذهاب للرجولة ،فقد اجتمع يوماً طلبة الشيخ الحرالي في مجلسه وقد تزيّنوا ببعض حليّ النساء فتكلم أحدهم وأشار بيده المزينة فقال له الشيخ : يد يُجعل فيها حليّ لا يُشار بها إلى الميعاد ، وكان هذا انكاراً صريحاً لهذه الظاهرة التي تسبب في هلاك الفطرة البشرية السليمة.[3]

كما وقد أنكر أيضاً الشيخ الحرالي ظاهرة شرب الخمر[4] وتصرف معها بحكمة ورويّة تدل على ورعِه وحِلمه مع الناس ، فقد كان يوماً مع أصحابه في شوارع بجاية فإذا بسكِّير يتمايل سُكراً ووضع يده على الشيخ يطلب منه ما يُتِم به سَكرته فدفع إليه سرواله وسط إنكار أصحابه وبعد ساعة عاد السّكير تائباً منيباً [5].

كما كانت للشيخ امرأة من معارفه تشكو له ابنها السكّير وأن يدعو له بالهداية فأمرها أن يشرب بكؤوس كبار بدل الصغار وذلك من حكمته لكي لا تطول مدة شربه

[1] - التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 378.
[2] - نفسه ، ص 382.
[3] - التنبكتي ، مصدر سابق ، ص 319.
[4] - انظر الملحق رقم 02.
[5] - الطاهر بونابي ، المرجع السابق ، ص 183.

بالكؤوس الصغار وتنفذ الكمية بسرعة ، ثم إنه بعد مدة يسيرة تاب الشاب وحسُن حاله ببركة الشيخ .[1]

وفي نفس الظاهرة يُذكر أن تلميذاً له كان مولعاً بشرب الخمر وفي إحدى الليالي سقطت على وجهه زجاجة خمر فأثرت فيه فجاء إلى الشيخ وفيهِ أثرها فأنشد مُكاشفاً:

لا تَسفكَّن دم الزجاجة بعدها

إن الجروح كما علمت قصاصُ

فاستحى الطالب وتاب من حينها .[2]

وبهذا الأسلوب كان الصوفية في بجاية يتعاملون مع أصحاب الذنوب بحِلم وورع يُعيدهم الى الطريق المستقيم.

المبحث الثالث: دور المتصوفة العلمي والديني:

لا يمكن اغفال الدور الثقافي والعلمي للرجال الصوفية في اثراء ونهضة الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبجاية خاصة، حيث برز دورهم من خلال ما خلفه السادة الصوفية من مؤلفات رائعة ونافعة، في مجال العلوم النقلية والعقلية ويتجلى ذلك فيما يلي:

1-دور المتصوفة في التعليم:

يعتبر التعليم ميدانا ضروريا وقيما لتطوير الحركة الفكرية والعلمية لدى أي مجتمع كان وعنصرا رئيسيا في تنظيم وترقية الافراد سلوكيا وحضريا لهذا نجد ان صوفية المغرب وعلى راسهم صوفية بجاية ساهموا كثيرا في نشر التعليم خاصة خلال العهد الموحدي

[1] - الغبريني ، المصدر السابق ، ص ص 150 ،151.
[2] - التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 320.

ومن اهم من كانوا يدرسون الفقه والحديث، وعلم التذكير بالجامع الأعظم ببجاية وهو أبو زكريا يحي الزاوي [1].

2-العلوم النقلية:

والمقصود بهذه العلوم علوم القران والتفسير وعلم الحديث والفقه.

2-1-العلوم الدينية:

أ-علم القراءات والتفسير:

اهتم صوفية بجاية بدراسة القران الكريم وحفظه و تدريسه [2] وجعلوا منه الدعامة الأساسية التي قام عليها تصوفهم ، فلقد نبغ في هذا العلم الشيخ أبا الحسن الحرالي (ت 638ه) كان يلقى في التفسير قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه ، لقد الف كتاب في التفسير سماه " مفتاح الباب المقفل على فهم القران المنزل " [3]كذلك نبغ الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي والأخر في علم التفسير ، فلقد قام بتأليف كتاب عنوانه " التفسير الكبير " فابن عربي استطاع ان يطرق بعلمه أبواب العلوم المعروفة في ذلك الوقت [4].

ب-الفقه:

هم معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكرامة والاباحة وهي مشتقاه من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفته من الأدلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الأدلة، قيل لها فقه [5] فلقد اهتم صوفية المغرب الإسلامي ومنهم صوفية بجاية بمذهب الامام مالك فتدارسوا كتبه كالموطأ

[1] -يعقوب النوبلي، اسهامات صوفية المغرب في الحياة الاجتماعية والثقافية خلال العهد الموحدي ،541-668ه/1156-1269م، مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط والحديث، جامعة حمه لخضر الوادي، 1436-1437ه/215-2016م ، ص 74.
[2] -الطاهر بونابي ن المصدر السابق، ص 236
[3] -الغبريني، المصدر السابق، ص ص 144-146
[4] - زينب ملياني، المرجع السابق، ص 217
[5] - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 516.

وغيره من كتب الفقه المالكي خاصة مدونة الامام سحنون والعتيبة للعتبي وغيرها ، ومن الصوفية الذين اهتموا بعلم الفقه نجد الشيخ أبو العلاء الحسن المسيلي (ت 582ه/1185م) كان بارعا في علم الفقه حتى قيل عنه انه أبو حامد الصغير [1].له مؤلفات في علم الفقه منها " التذكرة في أصول الدين " و " النبراس في الرد على منكر القياس " ، وكذلك الشيخ أحمد بن عثمان المتوسي المليانى (ت 644ه /1246م) الذي قام بتدريس كتاب التلقين لعبد الوهاب البغدادي (ت 536ه/1141م) حيث قال عنه الغبريني كان له في التلقين تقدم ونظر لم يكن لغيره ، ولم يكن له مثل في غيره من الكتب وان كان الرجل اماما في الفقه ، ولكنه في هذا الكتاب أجلٌّ من غيره من الكتب [2].

ج-علم الحديث:

ويراد به حفظ ما نقل عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل وما نقل عن أصحابه، وهو المصد الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القران الكريم [3].

ونظرا لأهمية علم الحديث فقد اهتم به العلماء ومنهم الصوفية، ومنهم الشيخ العارف بالله أبو مدين شعيب عرف ببراعته، في علم الحديث في بجاية [4] ويظهر كذلك مبدع العصر ابن عربي فقد برع في علم الحديث براعة لم يرى لها مثيل في تلك الحقبة فقد الف كتاب بعنوان " المصباح في الجمع بين الصحاح " و " اختصار مسلم " و " اختصار البخاري " و " اختصار الترمذي " و " ومكافأة الانوار فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى من اخبار " و " كنز الابرار فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الادعية والاذكار [5]

[1] - يعقوب نوبلي ن المرجع السابق، ص 79.
[2] - الغبريني، المصدر السابق، ص 188
[3] -مريم بوعامر ، المرجع السابق ، ص 70
[4] -الغبريني، المصدر السابق، ص 26.
[5] - زينب ملياني، المرجع السابق، ص 220.

2-2-اللغة العربية والتاريخ :

أ-اللغة: لقد أعطى المتصوفة اهتماما كبيرا لعلم اللغة بحكم انها لغة الوحي ومن بينهم الشيخ أبو الحسن الحرالي، كان بارعا ونابغا في علم اللغة

ب-الادب: ويشمل المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى كما يشمل النثر، وقد اهتم به المتصوفة ونبغوا فيه ومن أشهر المتصوفة في هذا الباب الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الذي ألف كتابا سماه " كتاب الادب " و " الحرف والمعنى " [1]

ج-الشعر: لقد نبغ وبرع السادة الصوفية في الشعر فأغلبهم كتب قصائد شعرية منها ما كانت في الزهد والنثر والمدائح وغيرها [2] وهذا ما لاحظه من خلال مراسلة أحد أصحاب الشيخ أبو مدين شعيب برسالة مفادها :

شعيب ولي الله سر عباده أبو مدين مغنى الانام في فخره

في جنة المأوى وعلم الهدى و يـــا ناشر عـلم الاله بأمره

فرد عليه أبو مدين في قوله: (أما بعد فإنه من اتقى الله سبحانه وفاه ومن توكل عليه حق التوكل كفاه ومن استعاذ به نجاه ومن شكره والاه ومن أقرضه جازاه ...)[3]

د-**التاريخ**: نظرا لأهمية علم التاريخ فقد أعطى الخلفاء الموحدون أهمية كبرى لهذا العلم حيث ظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين المغاربة الذين نبغوا في هذا العلم فكتبوا عن السيرة والانساب والتراجم والتاريخ والملوك والبلدان.

فمن الذين ظهروا في هذا العلم الشيخ محي الدين بن عربي، الذي ألف في علم التاريخ (الفتوحات المكية) وكتابة (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر

[1] -الغبريني، المصدر السابق، 172.
[2] -ابن القنفد القسنطيني، المصدر السابق ، ص ص 98-99.
[3] -نفسه، ص ص 98-99

والاخبار) وكذلك الشيخ أبو العباس الغبريني الذي ألف كتاب بعنوان (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابقة ببجاية) [1]

3-العلوم العقلية:

ويقصد بالعلوم العقلية الفلسفة والمنطق والطب والعلوم العددية.

أ- **علم المنطق والفلسفة:**

ازدهر علم المنطق خلال العهد الموحدي وهذا راجع الى العقيدة التومرتية المتأثرة بفكر الغزالي القائل: (بأن المنطق أساس العلم وكل ما يجهله لا يوثق بعلمه) لقد نبغ الصوفية في هذا العلم ومنهم الشيخ أبو الحسن الحرالي اذ الف كتابا بعنوان " المعقولات الأولى أما فيما يخص الفلسفة فقد نبغ الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الذي الف في علم الفلسفة والشيخ عبد الحق الانصاري البجائي (ت675ه)[2]

ب-**الطب:**

لقد اهتم بعض المتصوفة بهذا العلم كالشيخ أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد الله السلام الذي قال عنه الغبريني انه كان له حظ في علم الطب علمية عملية وكان مزاولا ومعالجا للناس ببجاية [3]

كما يوجد من اتخذ الطب مهنته فأسس شركة في هذا الباب كالشيخ أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة (ت 660ه/1262م) الذي سكن ببجاية [4]

ج-**العلوم العددية وعلم أسرار الحروف:**

ويقصد بهذه العلوم علم الحساب والجر والفرائض والهندسة وكانت اسهامات الصوفية في هذا الباب قليلة اذ اقتصروا على علم الحساب والفرائض ومن اهم الصوفية الذين طرقوا باب هذا العلم الشيخ أبو الحسن الحرالي الذي ألف كتابا

[1] -يعقوب نوبلي، المرجع السابق، ص89

[2] -نفسه ، ص ص 90-91.

[3] -بنت ملياني، المرجع السابق، ص 243.

[4] -يعقوب نوبلي، المرجع السابق، 92.

في علم الفرائض سماه " الوافي " [1] اما علم أسرار الحروف فقد اشتهر في هذا العلم الشيخ ابن عربي [2]

لم يقتصر دور صوفية بجاية على الجانب الاجتماعي فقط بل تعداه الى الجانب الثقافي والعلمي الذي لا يقل أهمية على الجوانب الأخرى فقد كان للصوفية اسهامات كبيرة في جوانب العلوم النقلية والعقلية اذ ألفوا مؤلفات لا تحص ولا تعد وبهذا كان لهم دورا كبيرا في التاريخ الإسلامي.

4-دور المتصوفة الديني:

أما فيما يخص دور المتصوفة الديني فقد كان يتمثل في توعية العامة بأمور دينها من واجبات وحقوق واوامر ونواهي وكان هذا الامر يتم في المساجد والربط والزوايا، وكان أهم مجالس التذكير والوعظ ببجاية خلال النصف الثاني من القرن السادس للهجرة هو مجلس الشيخ ابي مدين شعيب وأبي زكرياء يحي الزاوي، فقد كانوا يعملون على التعريف بالدين الإسلامي و ارساخه في قلوب العامة وتنقية الدين من الشوائب والبدع التي التسقطت به وكان هذا في البوادي والارياف، فقد نقل عن ابن مخلوف قوله : أن أبا مدين تخرج على يده ألف طالب ومن دون شك انهم لما عادوا الى بواديهم ، واريافهم عملوا على نشر ما تعلموه ولم يقتصر عملهم مع عامة المسلمين فقد تعداه الى الأجانب وتمثل ذلك في نشر الإسلام وترسيخه بين المسحيين بالحجة والبرهان ، ومقارعة الديانات الوضعية ، فقد جاء بعض الرهبان الايطاليين الى بجاية لرؤية أبي مدين والاطلاع على المكانة العلمية ، التي تبوأها ودرجة تدينه فلما حضروا مجلسه ورأوا كرماته دخلوا الإسلام [3].

كما استطاع تقي الدين الموصلي، من مقارعة النصارى بعمله ومجاهدته، لما هاجر من بجاية الى صقلية، اذ دعاه قساوستها للمناظرة حول موضوع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما حان وقت المناظرة طلب من الملك والقساوسة ألا يتعصبوا لعيسى عليه السلام، ولا يتعصب هو لسيدنا محمد صلى الله عليه

[1] -الغبريني ، المصدر السابق ،ص 73.
[2] -نفسه ن ص 146.
[3] -الطاهر بو نابي، المرجع السابق، ص 192.

وسلم فعلموا أنه يريد افحماهم لان ما يحملونه مجرد تعصب فامتنعوا عن المناظرة. ولما تشدقوا بان النبي عيسى عليه السلام يواصل أربعين يوما دون أكل ولا شراب، فقال لهم انه باستطاعته ان يواصل أربعين يوما دون طعام او شراب فجعله في بيته ووضعوا له من يسوق اليه الماء للوضوء وعندما اكتملت الأربعين يوما قال لهم: " أو أزيدكم أربعين أخرى "" فذهب القساوسة الى الملك يطلبون منه التعجيل في إخراجه من صقلية كي لا يفسد عليهم ملتهم واعتقادهم في النبي عيسى عليه السلام [1]

إضافة الى هذا فقد قام الصوفية بتسهيل مأمورية الحج ومساعدة الفقراء الذين عجزوا عن أداء فريضة الحج، اذ يذكر ابن الزيات أن أبا عبد الله محمد التاونتي التلمساني لما كان في بجاية متجها الى مكة تسابق رؤساء المراكب للفوز بصحبته في الرحلة، فاشترط على من يركب معه ان يحمل كل الفقراء المتوجهين الى مكة بدون اجر فوافقوه على ذلك [2]

[1] -الغبريني، المصدر السابق، ص ص 166-167.
[2] -الطاهر بونابي ، المصدر السابق ، ص 193.

خـــــاتمـة

ومن خلال دراستنا لموضوع الحياة الاجتماعية للصوفيّة في بجاية خلال القرن 7هـ/13م، استنتجنا جُملة من النتائج وهي كالتالي:

- بروز مدينة بجاية كحاضرة علميَّة وتجاريَّة ميّزها موقعها الاستراتيجي في استقطاب الفئات الاجتماعية والجاليات الأندلسية.
- تحوّل بجاية إلى مركز علميّ لمختلف العلوم والفنون تُشد إليها الرحال من مختلف مناطق المغرب الأوسط وكذلك الدول الأخرى.
- تفاعلت مجموعة من العوامل المختلفة الدينية والسياسية، الاجتماعية والاقتصادية في بروز ظاهرة الزهد في بلاد المغرب الأوسط والتي تطورت لتصبح تيار صوفي له أتباعه ومردييه.
- التعرف على مختلف جوانب الحياة اليومية للمتصوفة في بجاية وطبيعة عيشهم والتي تعكس لنا أخلاقهم وصفاتهم.
- وكذلك التعرف على السلوكيات الخاصة بهذه الفئة من خلال طبيعة علاقاتهم الأسرية، وأنواع المأكولات التي تتناولها، وكذلك الألبسة التي كانت متداولة عندهم وميزتهم عن بقية فئات المجتمع البجائي.
- كما تميزوا أيضا بمكانة اجتماعية خاصة أهلتهم لتولي المناصب المرموقة في المجتمع.

- كان لفئة المتصوفة الدور البارز في المجتمع من خلال حل القضايا والنزاعات بين الناس، ومحاربة جميع مظاهر الفساد الأخلاقي الشائعة في المجتمع البجائي.
- لقد استغلت السلطة الموحدية شعبية المتصوفة، وذلك من خلال الاعتناء بهم وخدمتهم لكسب العامة وتغطية عجزهم على القضاء عن الفقر المتفشي بين الرعية والتمايز الطبقي والأقليات الاجتماعية، بينما استطاع المتصوفة مجابهة هذه الازمات.
- اما بالنسبة للسلطة الحفصية فكان تقربهم من المتصوفة للتبرك بهم وضمان ولاء العامة لهم. لكن رغم ذلك لم تتهاون السلطتان الموحدية والحفصية في الوقوف في وجه المتصوفة عند محاولتهم الخروج عن سيطرتهم.
- لقد استغل فقهاء المذهب الظاهري تقربهم من السلطة الموحدية، حيث قاموا بتحريض السلاطة على المتصوفة ونصب المكائد لهم والحيل للإقاع بهم وذلك بسبب ازدياد شعبيتهم والتفاف العامة حولهم، الامر الذي يؤدي الى تهديد مكانتهم، لكن المتصوفة كانوا لهم بالمرصاد.
- اما بالنسبة لمتصوفة الاتجاه الفلسفي وفقهاء المذهب السني فقد جمع بينهم علاقة صراع حاد وعقيم.
- وقد جمعت علاقة طيبة بين المتصوفة والعامة، فقد كان المتصوفة يعملون بجهد وامانة من أجل مساعدة العامة وخاصة الضعفاء منهم ووصل بهم الامر

الى التضحية من أجلهم وخاصة في الازمات والكوارث، وفي المقابل قام العامة بتبجيل الصوفية واحترامهم ومناك من أوصلهم الى مرتبة القدسية، وكانوا يزورونهم لتبرك بهم ويأمرون أبناءهم بذلك أيضا (الاحياء منهم والاموات).

- لم يقتصر دور الصوفية على الجانب الاجتماعي فقط بل تعداه الى الجانب العلمي والديني فقد كانت لهم اسهامات عديدة في اغلي العلوم العقلية والنقلية ولم يقتصر المتصوفة عند التدريس فقط بل ألفوا العديد من الكتب في مختلف العلوم ومن ابرز المتصوفة الذين برزوا في هذا المجال أبو مدين شعيب.

الملاحـــــــــــق

الملحق رقم: 01

انتشار التسول في بلاد المغرب

ومن الدلائل التي تؤكد على انتشار المتسولين في الأسواق ما عرف عن متسول مراكش الشهير أبو العباس السبتي الذي اعتاد الجلوس في أسواق تلك المدينة لحث الناس على الصدقة وتوزيع القدر الذي جمعه عليه.

وثمة من المتسولين من جلبوا على الاتجاه إلى أبواب المنازل والسؤال عن حاجياتهم حيث ان ابا العباس السبتي لم يستصغ في احدى الليالي تناول العشاء الذي قدمه له بسبب سائلة وجدها أمام باب داره دون عشاء [1]

[1] -إبراهيم القادري بو تشيش، ظاهرة التسول في المغرب الإسلامي خلال القرن 6ه ، أعمال الملتقى الدولي في التاريخ " التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور " ، جامعة منتوري قسنطينة ن الجزائر ، 23-24-افريل 2001ن ص 175.

الملحق رقم: 02

طريقة مكافحة صوفية المغرب الآفات الاجتماعية قول الغبريني في طريقه مكافحة أبو الحسن علي ابن احمد ابن الحسن ابن إبراهيم الحراري التجيبي لظاهرة شرب الخمر

ومن كراماته رضي الله عنه ما سمعت من غير واحد من اثق به انه كان يوما يسير الى باب البحر وبعض من خواص أصحابه معه واذا بشخص يتمايلون سكرا فألقى يده في الشيخ وقال له يا سيدي ادفع لي ما أتم به هذه السكرة في شهره الناس فقال لهم لا عليكم دعوه فتركوه فاخذ سرواله ودفعه اليه لأنه لم يكن عنده غيره فانفصل الرجل والسروال في يده فنقذ هذا بعض من رآه وسلم بعض من هو من أهل الباطل وصار الفقيه مع أصحابه الى المسجد فبعد ساعة وإذا بالرجل قد وصل تائبا منيبا وهذا بظاهره معترض وباطنه لأهل مسلم وما هي إلا قضية حضارية [1]

[1] -الغبريني، المصدر السابق، ص 150.

الملحق رقم: 03

دور الصوفية في مساعدة الفقراء عند الحوائج

يقول ابن الزيات حدثني أبو علي بن يحيى الزناني عن مخبر أخبره قال: كنا ببجاية فأصابتنا مجاعة شديدا فمر أبو زكرياء الى العامل فاكثر منه فندقا كبيرا بنحو 300 دينار ثم مر عيان بجاية فكلمهم واحدا بعد واحد في معونة المساكين فيدفع له ما يطيقه فلما اجتمع عنده مال كثير دفع الى العامل كراء الفندق بعد أن رغب إليه العامل أن يحتسب عليه بكراء الفندق فابى عليه ثم مشى بطرقات بجاية فكلما مر بمسكين دفع له بقيه وقال له اذهب الى الفندق الفلاني فلما اجتمع المساكين بالفندق اشترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد واشترى لهم ما يقوموا بهم من الطعام وجعل عليهم قيما يقوم بهم واغناهم عن السؤال الى ان أخصب الناس في العاب الثاني فانصرفوا إلى موضعهم[1]

[1] - ابن الزيات ، التشوف الى رجال التصوف ، تحقيق احمد التوفيق ، ط2، منشورات كلية العلوم الإنسانية بالرباط سلسلة بحوث ودراسات رقم 22 ، سنة 1997 ، ص 429.

الملحق رقم :04

مملكة بجاية وتونس[1]

[1] - الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ، تر محمد حجي واخرون ، ج 02، ط 02 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1983م ، ص 48.

الملحق رقم :05

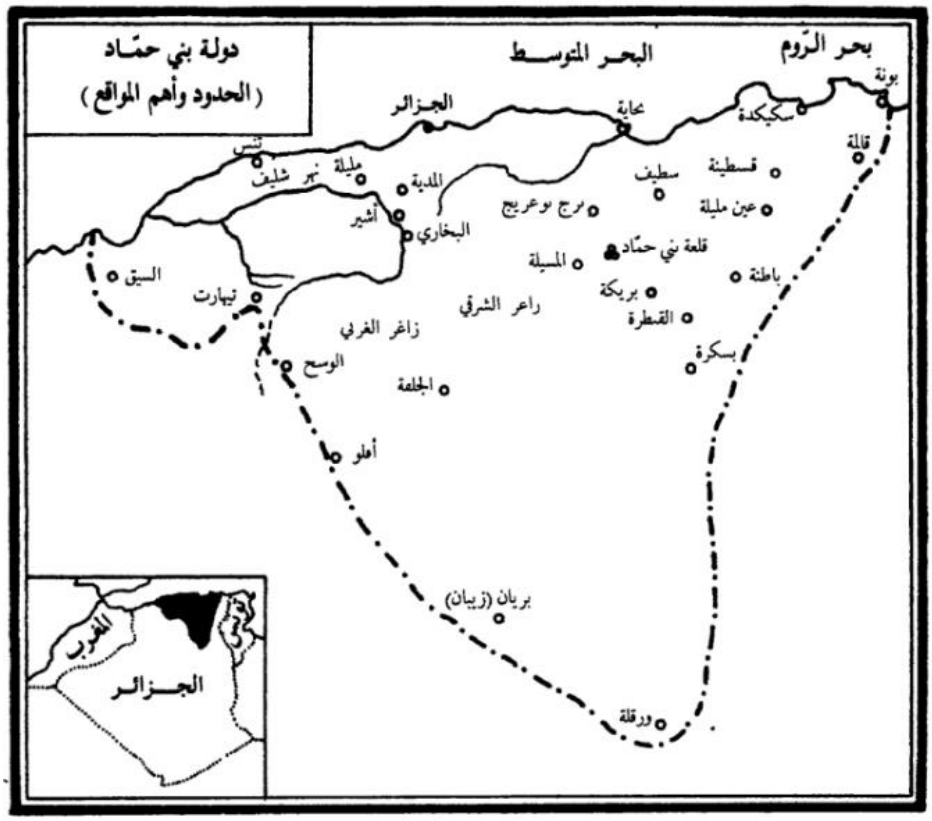

دولة بني حماد[1]

[1] - عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص97.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1- أبو زكرياء يحيى ابن خلدون ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تق وتح وتع عبد الحميد حاجيات ، ج01، ط خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011م.

2- أبو العباس احمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م) ، **أنس الفقير وعز الحقير** ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط.

3- أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات (ت 617هـ/1220م) ، **التشوف الى رجال التصوف** واخبار ابي العباس السبتي ، تح احمد توفيق ، ط 02 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، الدار البيضاء ، 1997م.

4- أحمد بابا التنبكتي (963هـ/1036م)، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة ،ط02، دار الكاتب ، طرابلس.

5- أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**، ج1دار صادر بيروت ،1408هـ/1988م.

6- ابن القنفد القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، الدار التونسية للنشر 1968.

7- ابن كثير، **البداية والنهاية**،ج1،بيت الأفكار الدولية .

8- أبوبكر بن إسحاق الكلابادي، **الثغر لأهل التصوف**، ط2، مكتب الخانجي القاهرة 1352-1415هـ/1933-1994م

9- أبو العباس الغبريني ، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، الطبعة الثانية، دار الافاق الجديدة ، بيروت، ابريل 1979م.

10- أبو الفضل عياض موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ) ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،تح أحمد بكير محمود ، ج 03، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1387هـ/1967م.

11- البكري ابو عبيد الله ، **المسالك والممالك** ، تح وتق : ادريان فان ليوفن واندري فيري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1992م

12- الشريف الادريسي (ت560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج01، ط 01، عالم الكتب ، بيروت، 1409م.

13- السهر وردي عبد القادر بن عبد الله، **عوارف المعارف**، القاهرة، تح: عبد الحليم حمود، ومحمود بن الشريف، ،ج 2،د ط ، دار المعارف القاهرة ، د س ط.

14- القشيري عبد الكريم بن هوزان، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تح معروف مصطفى رزيق، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،2001.

15- عبد الرحمان بن خلدون، **مقدمة بن خلدون**، تر خليل شحادة وسهيل زكارة،ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2001.

16- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الامصار**، ج 01، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.

17- شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 18.

18- يوسف بن اسماعيل النبهاني (ت 135هـ /1265م) ، **جامع كرامات الاولياء** ، تح ومر ابراهيم عطوة عوض ، ج02، ط01، مركز اهلسنة بركات رضا فوربندر غجرات ، الهند ، 1322هـ/2001م.

19- الوزان الفاسي الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا، تر محمد حجي واخرون، ج2،ط2،دار الغرب الإسلامي بيروت 1983.

ثانيا المراجع:

1- أبو العلاء عفيفي، **التصوف الثورة الروحية في الإسلام**، دار الشعب بيروت.

2- احسان إلهي ظهير، **المنشأ والمصادر**، ط 1، إدارة ترجمان السنية، قومي برس، لونرمان لاهور.

3- البيلي محمد حركات، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، مصر، 1993م.

4- الخطيب عبد الكريم، **التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام**، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر 19كنيسة الأرمن ش الجيش.

5- الامام الجنيد سيد الطائفين، **الامام القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الفراز الفواريري.**

6- التليدي عبد الله بن عبد القادر، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، ط3، دار اتمان الرباط 1421هـ/2000م.

7- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 7هـ/13م، نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري، دار الطباعة دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة الجزائر 2004.

8- بن عميرة محمد ولطيفة بشاري بن عميرة، **تاريخ بجاية في ظل مختلف الانظمة السياسية من عهد القرطاجيين الى عهد الاتراك العثمانيين**، ط 01، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر ،1436هـ/2015م. روبار

9- برنشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م**، تر حمادي الساحلي ، ج 02، ط01 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1988م.

10- بوعزيز يحي ، **الموجز في تاريخ الجزائر الجزء الاول الجزائر القديمة والوسيطة** ، الطبعة 02، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، 1995م.

11- سبنسرن اترنجهام، **الطرق في الإسلام**، دار المعرفة الجامعية 1994.

12- مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت1364هـ)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م.

13- محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، ج 03، ط03، دار الفكر العربي ، 1421هـ-1431هـ

14- عبد المنعم القاسمي الحسني، **اعلام التصوف في الجزائر من البدايات الى غاية الحرب العالمية الاولى**، ط 01 ، دار الخليل القاسمي ، الجزائر ،1427هـ.

15- عبيدة غالي، احمد عيسى، **مفهوم التصوف**، ط1، دار الجيل بيروت، 1413هـ/1992م

16- عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة في التاريخ الجزائري**، ط02، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة،1411هـ/1991م.

17- الحليم محمود، تاج الصوفية، أبوبكر الشلبي حياته وآرائه ، ط2

ثالثا: الرسائل الجامعية

1- فايزة بوزياني ، **الدور العلمي لعلماء زواوة في العهد الحفصي خلال الفترة مابين (ق 7-9هـ/13-15م)** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 1436هـ-2015م.

2- صابرينة شتيوي واخرون، **الحياة الاجتماعية لعلماء بجاية من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني (ت 704هـ/1304م)** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر ، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي الجزائر، 2019م.

3- خليفة فضيلة وآخرون ، **بجاية في العهد الحفصي (7-9هـ/13-15م)** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ وحضارات المغرب الاوسط والوسيط ، قسم العلوم الانسانية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، 1437هـ/2016م.

4- زينب ملياني، **التصوف بالمغرب الاسلامي عصر المرابطين والموحدين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، نوقشت، 2006/ 2007م.

رابعا: المجلات

1- بريكة مسعود، **المشيخة البجائية في العهد الحفصي** – قراءة في الصورة الخلقية والادبية – ، مجلة المعيار ، العدد03 ، سبتمبر 2020م.

2- سليمة بن حسن، صلاح الدين هدوش، "**التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين، أبو مدين شعيب نموذجا**"، مجلة الحياة، المجلد 22، العدد 31، جوان 2023.

3- خالد بالعربي،" **حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6و7هـ/12و13م**"، مجلة حوليات التراث، ال عدد14، 2014م.

4- –فاطمة داود، "**التصوف الإسلامي مفهومه واصوله**"، مجلة الحوليات، العدد1 ،2004 .

5- مريم عبد السلام، "**التواصل الحضاري بمدينة بجاية من مغازة قلدأمان الى مدينة الناصرية**"، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد01، جوان 2021م.

6- صلاحي حسام ، "**بجاية ومكانتها العسكرية في العهد الموحدي 546-629هـ/ 1152-1230م**،" مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، جانفي 2020م. محمد شريف سيدي موسى، **قراءة في الدور السياسي لبجاية في العصر الوسيط**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد17، جوان 2017م.

خامسا: المعاجم

1- شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، **معجم البلدان**، ج01، ط 02، دار صادر، بيروت، 1995م.

2- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري، **لسان العرب**، ج 6.

سادسا: الموسوعات

1- محمد سليمان الطيب ، **موسوعة القبائل العربية** ، ج 03، ط03، دار الفكر العربي ، 1421هـ-1431هـ.

إن عنوان موضوعنا يتمثل في :الحياه الاجتماعية لمتصوفة بجاية خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي حيث ان الموضوع اهميه كبرى اذ سلط الضوء على اسهامات الصوفية في اصلاح المجتمع البجائي خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي واعاده التوازن اليه بعدما تخلله الفساد والتفسخ الاجتماعي عندما اصبحت بجاية ذات قوة اقتصاديه وسياسيه وهذا ما ادى بنا الى دراسة هذا الموضوع فقد ركزت اغلب الدراسات على ان بجاية قوة اقتصادية وسياسية في هذا الزمن واهمال الجانب الاجتماعي الذي كان به تأثير كبير على هذين العاملين ففي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في بجاية وصلت ظاهره التصوف الى قمة ازدهارها وعملت على اعاده التوازن للمجتمع وذلك من خلال :

– انجذاب العامة للمتصوفة واحترامهم وتبجيلهم القائم على الزهد والاعتكاف والتي ظهرت من خلال ملبسهم ومأكلهم ومشربهم واخلاقهم وتعاملهم مع الاخرين.

–قام المتصوفة بإعانة الفئة الدنيا وخاصه وقت الازمات والكوارث الطبيعية وحل النزاعات والخلافات بينهم ومحاربه الترف والتفسخ الاخلاقي وايصال صوتهم الى السلطة والحكام بل وصلت مساعدتهم الى حد التضحية من اجل مساعدتهم بينما وقفت السلطة والاغنياء وذوي الجاه عاجزين على مساعدتهم وقد ادى ذلك الى تقديسهم واحترامهم والتفاف العامة حولهم.

– كذلك أثر الصوفية على السلطة والفقهاء حيث قامت السلطة الموحدية بالتقرب من المتصوفة واستخدامهم كأداة للتقرب من العامة والحصول على رضاهم بسبب شعبيتهم الكبيرة التي كانوا يحظون بها بين العامة.

–اما بالنسبة للسلطة الحفصية فقد كان تقربهم من المتصوفة بسبب اعجاب وتقديس الحكام والسلاطين للمتصوفة ولضمان ولاء العامة أيضا.

– اما بالنسبة للفقهاء فقد استغل فقهاء الظاهر مكانتهم وتقربهم من السلطة لأعداد المكائد والحيل للمتصوفة وتحريض السلطة عليهم وذلك بسبب شعبية المتصوفة المتزايد وخوفا على مكانتهم من ذلك.

أما فقهاء السلفية فقد كانوا على صراع دائم مع متصوفة الاتجاه الفلسفي

– اضافه الى ذلك فقد كان لهم دورا بارزا في الجانب العلمي والديني حيث عمل المتصوفة على تثقيف وتعليم المجتمع البجائي ونشر تعاليم الدين الاسلامي ومحاوله ادخال الوافدين من اليهود والنصارى الى الاسلام في بجاية ولم يقتصر هذا فقط على بجاية بل شملت معظم المغرب الاسلامي.

و اخيرا نرى ان متصوفة بجاية كانت لهم اسهامات كبيره في اصلاح المجتمع ولم تقتصر فقط على العامة بل شمل جميع فئات المجتمع وكانت ذات تأثير ايجابي عليهم.

The Social Life of the Sufis in Béjaïa During the 7th Hijri Century (13th (Century CE

This study holds great significance as it sheds light on the contributions of the Sufis in reforming the society of Béjaïa during the 7th Hijri century (13th century CE) and restoring its balance after it had been plagued by corruption and social decay. While Béjaïa had become an economic and political power, this very status led to societal imbalances, prompting us to explore this topic. Most studies have focused on Béjaïa's economic and political strength during this period, neglecting the social aspect, which .had a profound influence on these two factors

In the 7th Hijri / 13th century CE, Sufism in Béjaïa reached its peak and :worked to restore societal equilibrium through the following

First, the common people were drawn to the Sufis, respecting and venerating them for their asceticism and devotion, which was evident in .their attire, food, drink, morals, and interactions with others

Second, the Sufis aided the lower classes, especially during crises and natural disasters. They mediated conflicts, combated extravagance and moral decay, and advocated for the people before the rulers. Their assistance even extended to self-sacrifice, while the authorities, the wealthy, and the elite often proved incapable of helping. This earned the .Sufis deep reverence and caused the masses to rally around them

Third, the Sufis also influenced the authorities and jurists. The Almohad rulers sought to align themselves with the Sufis, using them as a means .to gain public approval due to their widespread popularity

Fourth, as for the Hafsid rulers, their closeness to the Sufis stemmed from the rulers' admiration and veneration for them, as well as their desire to .ensure the loyalty of the masses

Fifth, regarding the jurists, the literalist jurists exploited their proximity to the authorities to plot against the Sufis and incite the rulers against them, fearing the growing popularity of the Sufis and its threat to their own status. Meanwhile, the Salafist jurists were in constant conflict with the .philosophical Sufis

Sixth, in addition, the Sufis played a prominent role in the intellectual and religious spheres. They educated and enlightened the society of Béjaïa, spreading Islamic teachings and attempting to convert Jewish and Christian newcomers to Islam. Their influence was not limited to Béjaïa .but extended across much of the Islamic Maghreb

In conclusion, the Sufis of Béjaïa made significant contributions to society, impacting not only the common people but all social classes, leaving a .lasting positive influence

This translation maintains the original meaning while ensuring clarity and !readability in English. Let me know if you'd like any refinements

الفـــــــــــــــهرس

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....أ- د

فصل تمهيدي.....5

المبحث الأول: أصل التسمية والموقع الجغرافي 21

المبحث الثاني: بجاية في التاريخ 17

المبحث الثالث: مفهوم التصوف.....12

المبحث الرابع : عوامل ظهور التصوف ببجاية 15

الفصل الأول: الحياة اليومية لمتصوفة بجاية خلال 7هـ/13م

المبحث الأول: مأكلهم وملبسهم ومسكنهم.....21

المبحث الثاني: اخلاقهم ووظائفهم 24

المبحث الثالث: حياتهم الاسرية وزهدهم في الدنيا 27

الفصل الثاني: علاقات متصوفة بجاية في 7هـ/13م

المبحث الأول: علاقة المتصوفة بالسلطة.....30

المبحث الثاني: علاقة المتصوفة بالفقهاء.....34

المبحث الثالث: علاقة المتصوفة بالعامة 38

الفصل الثالث: الأحوال الاجتماعية لمتصوفة بجاية خلال 7هـ/13م

المبحث الأول: دور المتصوفة في حل الخلافات والنزعات 40

المبحث الثاني: دور المتصوفة في اصلاح المجتمع.....42

المبحث الثالث: دور المتصوفة العلمي والديني.....44

الخاتمة.....51

الملاحق. 54

قائمة المصادر والمراجع.....59

الملخص باللغة العربية 65

الملخص باللغة الإنجليزية.....67

الفهرس.....68